نجيب محفوظ

يوم قتل الزعيم

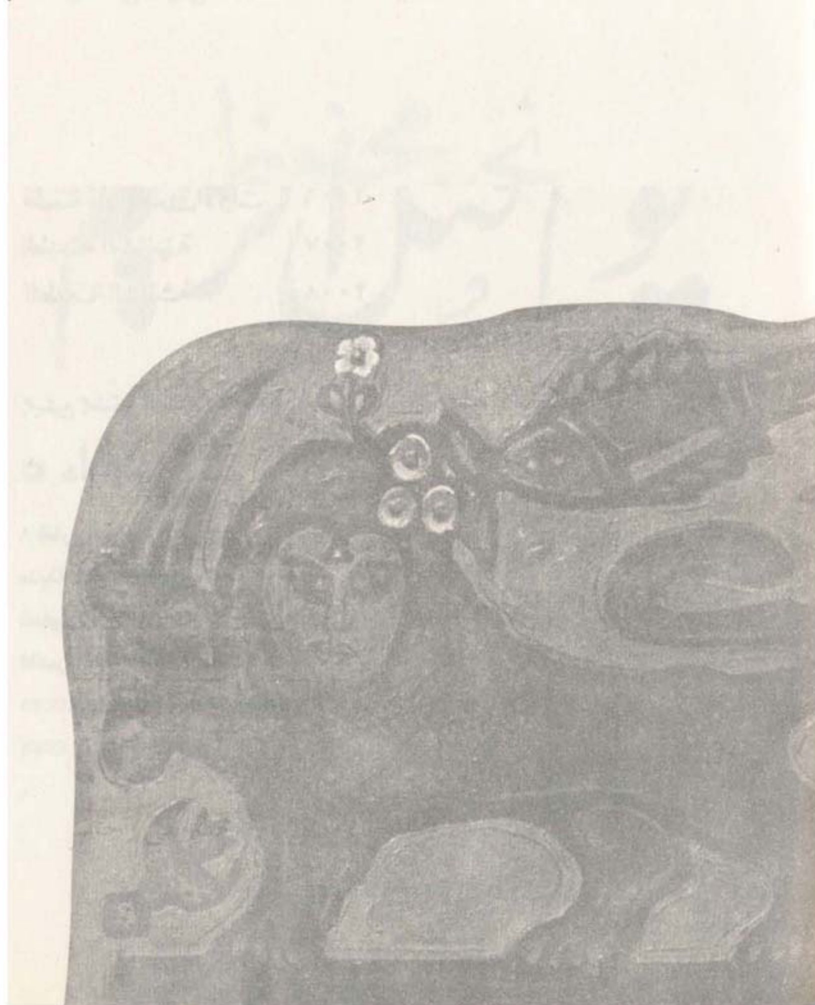


نجيب محفوظ

يوم قتل الزعيم

دار الشروق

يوم قتل الزعيم



الغلاف والتصميم

للفنان حلمى التونى

طبعة دار الشروق الأولى ٢٠٠٦

الطبعة الثانية ٢٠٠٧

الطبعة الثالثة ٢٠٠٨

٨ شارع سيبويه المصرى

مدينة نصر ـ القاهرة ـ مصر

تليفون : ٢٤٠٢٣٣٩٩

فاكس : ٢٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)

email: dar@shorouk.com

www.shorouk.com

محتشمى زايد

نوم قليل وفترة انتظار ثملة بالدفء تحت الغطاء الثقيل. النافذة تنضح بضياء خفيف ولكنه يتجلى بقوة فى ظلام الحجرة الدامس. اللهم إنى أنام بأمرك وأصحو بأمرك وإنك مالك كل شىء. ها هو أذان الفجر يفتتح يومى الجديد، ويسبح فى بحر الصمت الشامل هاتفا باسمك. اللهم عونك لهجر حنان الفراش والخروج إلى قسوة برد هذا الشتاء الطويل. حبيبى يغط فى نومه فى الفراش الآخر فلأتلمس طريقى فى الظلام أن أوقظه. ما أبرد ماء الوضوء ولكنى أستمد الحرارة من رحمتك. الصلاة لقاء وفناء. من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه. كل يوم لا أزداد فيه علما يقربنى إلى الله فلا بورك لى فى شمس ذلك اليوم. أنتزع نفسى من تأملاتى أخيرًا لأوقظ النيام. أنا منبه هذه الأسرة المرهقة. حسن ألا تخلو من نفع وإننى فى هذا العمر. طاعن فى السن متين الصحة بفضل الله. لابأس أن أضىء المصباح الآن. وأنقر باب الحجرة بأصبعى هاتفا «فواز» حتى أسمع صوته وهو يقول: «صباح الخير يا أبى». أرجع إلى حجرتى وأضىء مصباحها أيضا فأرى حفيدى مستغرقا فى نومه لا يبدو منه إلا وسط وجهه بين حافتى الغطاء والطاقية. ما باليد حيلة. علىّ أن أخرجه من دنيا الراحة إلى الجحيم. وأهمس بقلب مفعم بالعطف عليه وعلى جيله «علوان.. اصح». ويفتح عينيه العسليتين، ويتثاءب، ويقول باسما: «صباح الخير يا جدى». ويعقب ذلك حركة أقدام، ونشاط ألسنة. وحياة تدب ما بين

الحمام وحجرة السفرة. وأستمع إلى قرآن الصباح فى الراديو حتى تنادينى هناء زوجة ابنى «السفرة جاهزة يا عمى». أهم ما بقى لى فى مسرات الدنيا الطعام. ما أكثر نعم الله فى دنياه. اللهم جنبنى المرض والعجز. لا أحد ثمة للعناية بالآخرين. ولا فائض مال للتمريض. الويل لمن يسقط. يجمعنا فى الصباح المدمس وحده أو الطعمية. هما معا أهم من قناة السويس. سحقًا لعهد البيض والجبن والبسطرمة والمربى، ذلك عهد بائد، أو ق.ا. أى قبل الانفتاح. الأسعار جنت، كل شيء قد جن. ما زال فواز مائلاً للبدانة، وهو يستعين بالخبز، ومثله هناء ولكنها تسرع نحو الكبر قبل الأوان. ابن خمسين يبدو اليوم كأنه ابن ستين. وقال فواز بصوته الجهير:

ـ سنعمل أياما صباحا ومساء بالوزارة فأضطر إلى الانقطاع عن الشركة..

ساورنى قلق. إنه وزوجه يعملان فى شركة قطاع خاص. ودخلهما ومعاشى ومرتب علوان تفى بالكاد بضرورات الحياة فما الحال إذا استغنت عنه الشركة؟!

فقلت برجاء:

لعلها أيام قليلة.

وقالت هناء:

ـ سأقوم ببعض عملك وآتيك بما لم ينجز منه واشرح لمدير القسم ظروفك..

فقال فواز متسخطا:

ـ هذا يعنى أن أعمل من الصباح حتى منتصف الليل.

أتمنى دائما ألا نثير غبار الهموم على المائدة ولكن كيف؟ وقال علوان:

ـ والد أستاذتى علياء سميح يسوق تاكسى فى أوقات فراغه ويربح أكثر طبعا.

فسأله والده:

ـ هل يملك التاكسى؟

ـ أظن ذلك.

ـ ومن أين لى بشراء واحد؟! وهل كان أبو أستاذتك غنيا أو مرتشيا؟

ـ كل ما أعرفه أنه رجل محترم.

فقلت:

ـ اختار طريقا شريفا فى النهاية.

فقال علوان ضاحكا:

ـ لعلى أختار طريقا مثله يوما ما.

فسألته هناء بجدية:

ـ ماذا ستفعل؟

ـ سأكون عصابة للسطو على البنوك!

فقال فواز بامتعاض:

ـ خير ما تفعل.

ومسحت الأطباق مسحا، ومضت بها هناء إلى المطبخ، وما لبثوا أن ودعونى وذهبوا. وجدتنى فى الشقة الصغيرة وحيدا كالعادة. اللهم ارزقهم واكفهم شر الأيام. اللهم امنحنى شيئا من نعمة القرب والولاية. لو تركت البيت على حاله لبقى ملهوجا فى فوضى شاملة حتى المساء. أفعل ما أستطيع فى حجرة نومى، وحجرة المعيشة حيث أمضى وحدتى مستمعًا للقرآن والأغانى والأخبار فى رحاب الراديو أو

التليفزيون. ولو توجد حجرة رابعة لأمكن أن يقيم علوان فيها عشه. الحمد الله لا أعترض على قضائه. مر العارف أبو عباس المرسى بالقاهرة بأناس يزدحمون على دكان خباز فى سنة الغلاء فرق قلبه لهم، ثم وقع فى نفسه أنه لو كان معى دراهم لآثرت بها هؤلاء فأحس بثقل جيبه فأدخل فيه يده فوجد فيه جملة من الدراهم فأعطاها للخباز وأخذ بها خبزا فرقه، فلما انصرف وجد الخباز الدراهم زائفة فاستغاث عليه وأمسكه. فعلم أن ما وقع فى نفسه من الرقة اعتراض على قضاء الله فاستغفر وتاب وسرعان ما تبين للخباز أن الدراهم صحيحة! ذلك هو الولى الكامل لا تتأتى الولاية إلا لمن يعرض عن الدنيا. شارفت الثمانين وما وسعنى أن أعرض عن الدنيا. هى دنيا الله وهبته الخاطفة لنا فكيف أعرض عنها؟ أحبها ولكن حب الحر التقى العابد فلمَ تضن علىّ بالولاية؟ يهمنى القرآن والحديث كما يهمنى الانفتاح وكما تهمنى لقمة المدمس بالزيت الحار والكمون والليمون. ومن ذا يحيط برحمة الله الواسعة فقد أشير ذات يوم من بعيد إلى المصباح فيضىء دون أن أمس مفتاحه. لم يبق لى من أصدقاء العمر إلا واحد فرقت بيننا الشيخوخة. وحدة النفس والمكان والزمان. وكفت العينان عن القراءة منذ عام. نومى قليل جدا لا أخاف الموت. أرحب به حالما يجىء ولكن ليس قبل ذلك. عندما افتتح الملك فؤاد المدرسة انتدبت لإلقاء كلمة المدرسين. يوم مجد. أثلج صدرى بهتاف الأولاد «يعيش الملك ويحيا سعد». تغير الهتاف وتغيرت الأغانى. انفجر أخيرا الغلاء. من وراء الزجاج المغلق أرى النيل والأشجار. بيتنا أقدم وأصغر بيت فى شارع النيل. قزم وسط العمائر الحديثة. النيل نفسه تغير وكأنه مثلى يكابد وحدة وشيخوخة. لبسته حال واحدة، فقد مجده وأطواره، لم يعد فى مقدوره الغضب. ما أكثر السيارات! ما أكثر الثروات! ما أشد الفقر! ما أكثر الأحباب الراحلين! يوم غائم منذر بالمطر. فى مثله كانت تحلو الرحلة إلى حدائق

القناطر. أصدقاء العمر يجتمعون حول الدجاج المقلى والبطاطس والشراب. والفونوغراف. أسمر ملك روحى، إن كنت أسامح وأنسى الأسية. كلهم هياكل عظمية وضحكاتهم المترعة بالسرور والأمان ذابت فى تضاعيف الفضاء. وقفوا ورائى صفا ليلة الزفاف. ليلة كشف النقاب لأول مرة عن وجه فاطمة. خمس سنوات مضت على آخر زيارة لقبرك. أى سرعة جنونية فى هذا الزحام الذى لم تعرف له الأشجار مثيلا منذ غرست فى عصر إسماعيل! المجنون يجرى بلا وعى نحو حادثة يرصده عندها الأجل. قال رسول ﷺ: «يا عبد الله، كن فى الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل، واعدد نفسك فى الموتى». صدق رسول الله.

علوان فواز محتشمى

صباح يوم جديد . قديم . جديد قديم . جديد قديم . جديد قديم . جديد قديم . جديد قديم . دوخينى يا ليمونة . إن لم يوجد قديم حسن فليوجد جديد سيئ . أى شىء . الموت نفسه تجديد . المشى صحة واقتصاد . المفروض أنه طريق العشق والجمال فانظر ما هو . آه يا قدمى! آه يا حذائى! تحملا وتصبرا هذا زمن التحمل والتصبر . فى زمن النار والوحوش لا نسمة ترطب الفؤاد إلا أنت يا حبيبتى . للأشجار الباسقة فضل وللنيل فضل أيضا لا ينكر . انظر إلى أعلى إلى السحب البيضاء ورءوس الأشجار لتنسى سطح الأرض المجدور . ستلقى يوما شيطانا بريئًا فتؤاخيه . إنى عبد العقل الراجح والخلق الكريم والعينين السوداوين المظللتين بحاجبين مقرونين . منذ الصغر منذ الصبا منذ الشباب فى البيت القديم الضائع بين العمائر الشاهقة ، دسيسة بين الأغنياء . سيقتلنا صاحب البيت ذات يوم . عجيب أن يخلد الحب فى ظل الفساد المنتشر . هذا الطور المتهرئ هل تخلف عن غارة جوية؟ وأكوام القمامة رابضة بالأركان تحرس العشاق . صباح الخير أيها المكدسون فى الباصات . وجوهكم تطل من وراء الزجاج المشروخ مثل المساجين فى يوم الزيارة . والجسر المكتظ بالعابرين . السائرون على عجل يلتهمون سندوتشات الفول بنهم وبلا تذوق . جدى قال :

ـ اشتدى يا أزمة تنفرجى .

يا جدى المحبوب حتى متى نحفظ ونردد؟ إنه صديقى الأول. ما أنا إلا يتيم. فقدت أبوى بعد أن فقدا نفسيهما فى عمل يتواصل من الصباح حتى المساء. موزعين بين الحكومة والقطاع الخاص فى سبيل اللقمة والضرورة. لا نلتقى إلا خطفا.

- لا وقت للفلسفة من فضلك، ألا ترى أننا لا نجد وقتا للنوم؟! إن صادفت إحدى أخواتى عثرة فى حياتها الزوجية ندبت أنا لإصلاح ذات البين! زمن لا يجد فيه أحد عند آخر عونا. على كل أن يصارع وحسن حظه وحده. أخيرا ها هى شركة الأغذية. إحدى شركات القطاع العام. أقرأ على مدخلها بالبنط العريض «أدخلوها بلا أمل» ها هى محبوبتى فى إدارتنا العتيدة، العلاقات العامة والترجمة. تغدق على ابتسامة الحب. قلت لها معاتبا:

- لو انتظرت دقائق لجئنا معا.

فقالت بمرح:

- لظروف كان علىّ أن أتناول فطورى فى البرازيل.

بفضل جدى جمعتنا شركة واحدة وإدارة واحدة. أو بفضل ضابط من الضباط الأحرار كان يوما تلميذه. جدى شخصيته لا تنسى. يتذكر فضله رجل من جيل أنكر فضل السابقين. ما أكثر البنات فى إدارتنا! ها هى جيوش الأوراق تجم عملنا فى غير حاجة إلى تركيز. جدى. أعمل حينا وأسترق النظر إلى حبيبتى رندة حينا. أتذكر وأحلم وأحلم وأتذكر. قصة طويلة ترجع إلى أقدم عصور الحياة فى بيتنا القديم الفريد. لعبنا فى الطفولة واحد وعمرنا واحد. ماما تؤكد بغير دليل أنها أكبر منى. ويجىء البلوغ مصحوبا بالحياء والحذر. والرقيب يتدخل هادما المسرات. لكن الحب اقتحم فى حينه. فى المرحلة الثانوية. انهالت على السلم بين الطابقين المداعبات العابرة والعبارات الرمزية.

وذات يوم دسست فى يدها رسالة اعتراف. كجواب منها أهدتنى قصة وفاء الجيلين. لما نجحنا فى الثانوية العامة فى عام واحد قلت لجدى أريد أن أخطب رندة سليمان جارتنا. جدى قال لى إنه على أيامه لم يكن يباح الكلام فى الخطبة قبل أن يستقل الشاب بحياته ولكنه وعد بمفاتحة بابا وماما فى الموضوع كما وعد بتأييدى. أمى قالت إن آل سليمان مبارك أقرب من الأقارب، ورندة بمنزلة بناتها ولكنها أكبر منك! وقال أبى إنها تماثلك فى السن إن لم تكن أكبر وتماثلك أيضا فى الفقر. أعلنت الخطبة فى يوم سعيد. وقتها كان الحلم يمكن أن يصير واقعا. منذ التحقنا بالعمل موظفين واجهتنا حقائق جديدة. ومرت أعوام ثلاثة فختمنا السادسة والعشرين. كنت عاشقا فأصبحت مرهقا عاجزا مسئولا. لا نجتمع اليوم للمناجاة ولكن لمناقشات توشك أن تلحقنا بالمجموعة الاقتصادية. الشقة.. الأثاث. أعباء الحياة المشتركة. لا حل لديها ولا حل لدى ولا نملك إلا الحب والإصرار. أعلنت الخطبة فى عهد الناصرية وواجهنا الحقيقة فى عصر الانفتاح. غرقنا فى دوامة عالم مجنون. حتى فى الهجرة لا مجال لنا. بين الفلسفة والتاريخ ضعف الطالب والمطلوب. لا لزوم لنا. ما أكثر من لا لزوم لهم. كيف حاق بنا هذا الضياع؟ إنى مسئول مطارد تحاصره التساؤلات. وهى جميلة ومطلوبة وأنا قائم مثل السد فى طريق حظها. نظرات والديها المتعضة لا تفارقنى.. أكاد أسمع ما يقال من ورائى. فوق ذلك تهيم أحلام الإصلاح. تجىء من فوق أو من تحت. بقرارات أو بانتفاضات. معجزة العلم والإنتاج. لكن ما الحل مع ما يقال عن الفساد واللصوص؟ ما أفظع ما تقول الدكتورة علياء سميح وما يقول محمود المحروقى! أين الصواب؟ لم أشك فى كل شىء؟ منذ تهاوى مثلى الأعلى فى ٥ يونيو. كيف يجد أناس سبيلا سحريا إلى الثراء الفاحش وفى زمن لا يصدق؟.. ألا يمكن أن يحدث ذلك بلا انحراف؟ ما سر حرصى على

الاستقامة؟ ما أطمح في هذه الساعة إلى أكثر مما يؤهلني للزواج من رندة. دعينا إلى مقابلة مدير الإدارة أنور علام. أنا ورندة. كثيرا ما ندعى معا لتعاوننا المشترك على ترجمة اللائحة. إنه مدير لطيف المعاملة جميل الاستقبال محب للدعاية، نحيل طويل غامق السمرة مستدير العينين ذو نظرة نافذة، وأيضا كهل يشارف الخمسين من عمره وأعزب. وكعادته قال:

- أهلا بالعروسين!

وراح ينظر في أوراقنا بسرعة وذكاء مبديا بعض الملاحظات. ورد التسويدة متسائلا:

- متى نفرح بكما؟

إني أعتبر أسلوبه في التدخل في الشئون الخاصة للموظفين سياسة وإن لم تصادف مني ارتياحا مثل نظرة عينيه. على أني أحببته.

- مشكلتنا حتى الآن لا حل لها.

فقال باستهانة جريئة:

- لا مشكلة بلا حل.

فقلت كالمحتج:

- ولكن...

- وإذا به يقاطعني:

- لا تردد أقوال العاجزين.

فملأني الغيظ وسألته:

- ما الحل في تصورك؟

فضحك ضحكة مستفزة وقال:

- لاتطلب الحل عند الآخرين!

رجعت إلى مكتبى وفكرة تساورنى أنه تعمد أن يظهرنى فى صورة العاجز أمام رندة. وعشت فى غبش هذه الفكرة طيلة الوقت حتى أذن موعد الانصراف. ولدى عودتنا معا إلى شارع النيل ملفوفين فى معطفينا قلت لها :

ـ الرجل أثار أعصابى.

فقالت وهى تحبك طوق المعطف حول عنقها السمح :

ـ وأنا كذلك.

ـ إنه سمج يدعى الظرف.

ـ هو كذلك.

ـ هل تصدقين أنه يوجد حل لمشكلتنا لم نهتد إليه بعد؟

فتفكرت قليلاً ثم قالت :

ـ أملى فى الله كبير، نحن نفكر وكأن كل شىء سيبقى على حاله إلى الأبد!

فقلت بقلق :

ـ ولكن العمر يجرى يا رندة.

فقالت باسمة :

ـ ربما ولكن الحب ثابت!

رندة سليمان مبارك

أصعد السلم إلى الشقة ويقف هو أمام شقته كأنما ليطمئن على حتى أبلغ بابى. ودعنى بقبلة فاترة شأن المهموم بأفكاره. لعنة الله على المدير، استفزه بلا سبب. ظل طوال الوقت كئيبا مغتما. أفهم ذلك جيدا ولكن ألا يثق بى؟! لا مساحة عندنا لمزيد من القلق. رائحة الملوخية تجول فى الشقة ما أشد استجابتى لها. أبى نائم فوق مقعده. ألثم جبينه فيختلج جفناه. يبتسم بحنان. هزلت وضعفت لعنة الله على الروماتيزم. محتشمى بك جد حبيبى أقوى منه عشر مرات رغم أنه يكبره بعشر سنوات. صوت ماما يعلن أن السفرة جاهزة. أحب الملوخية ولكن ماما لا تعجبها شهيتى. كثيراً ما تقول لى:

ـ النحيف لا يقاوم الأمراض.

فأقول لها:

ـ البدانة أيضا ضارة.

ـ عنيدة، إن قلت يمينا قالت شمالا.

ماما بدينة وكانت كذلك من قديم. تصلى وهى قاعدة على الكنبة. من أجل ذلك يكتنفنى الحذر عند تناول الطعام. ظنت نفسها غنية بدخلها البالغ خمسة وعشرين جنيها فى الشهر. لعلها كانت على حق فى الأيام الأسطورية التى تحكى لنا، أى قيمة اليوم لدخلها ومعاش بابا ومرتبى جميعا؟!

ركب أبى طاقم أسنانه الذى لا يستعمله إلا حين تناول الطعام وراح يأكل على مهل ويشكو شدة البرد. انضمت أختى المطلقة سناء التى تشاركنى حجرة نومى. إنها تدرس السكرتارية فى معهد خاص لتجد لها عملا فلا تكون عالة على أحد. بعد الغداء استلقيت على فراشى فعاودتنى ذكرى القبلة الفاترة. لا أحب هذا. إهانة أو ما يشبه ذلك. إذا تكرر ذلك فسوف أصارحه لا تقبلنى إلا وأنت تحبنى لا يشغلك شىء عن حبى. ماذا بقى لنا سوى الحب؟ أراعيه كأنما أنا أم وكأنما هو ابن مدلل متمرد. آه لو أمكنه أن يكون مهندسا! كان «زمنا» من أبطال الانفتاح لا من ضحاياه. وضحية أيضا لـ ٥ يونيو واختفاء البطل المنهزم. حائر لا موقف له. حتى متى يحتقر السائقين ويؤمن بأنه خير منهم؟ لماذا؟ متى ينظر إلى نفسه نظرة ناقدة موضوعية؟ لعله دورى وواجبى ولكنى أخشى على الشىء الباقى الوحيد حبنا. أحبه والحب لا عقل له. أريده بكل قوة نفسى. كيف؟ ومتى؟ أختى سناء تزوجت عن حب وقنعت بالثانوية العامة ونصيب ست البيت وشاب من ذوى الأملاك ثم لم توفق ومات الحب. الاتهامات انصبت كالعادة على الطرف الآخر ولكنها عصبية. تثور كالبركان لأتفه الأسباب فمن يحتمل ذلك؟! من أجل ذلك تعودت على أن أحذر الغضب كما أحذر الإفراط فى الطعام. متى تتيسر تلك السعادة الملعونة؟! حتى متى يصمد الجمال أمام الزمن الجارف ؟ لا ولم أعرف أننى نمت إلا بحلم رأيته. قمت عصرا. . لاطفت قطتى دقيقة. . صليت العصر والظهر معا. شكرا لماما فهى مربيتى الدينية. أما بابا! ماما زوجة موفقة رغم فارق السن بينها وبين بابا ورغم لا دينية بابا! أتذكرين محاسبتك له فى الزمان الأول؟

- بابا لم لا تصوم مثلنا؟

يقول ضاحكا:

ـ الصغيرة تحاسب أباها.

ـ ألا تخاف الله؟

ـ الصحة يا حبيبتى، لا يغرنك مظهرى.

ـ والصلاة يا بابا؟

ـ أوه.. سأحدثك عن ذلك عندما تكبرين..

ليس كذلك الحال فى شقة حبيبى. الجد والأب والأم يصلون ويصومون. لا دينية أبى اليوم ساطعة مثل شيخوخته ومرضه. لم يتفوه أبدا بكلمة مريبة ولكن فى السلوك ما يكفى. فى ثورات غضبه يسب الدين. ربما استغفر الله إرضاء لى أو لماما كشعار ليس إلا كسائر الشعارات الجوفاء التى تنهال علينا من أفواه المسئولين. زمن شعارات مقزز. حتى الراحل البطل لم يعف عن ترديد الشعارات. وبين الشعار والحقيقة هوة سقطنا فيها ضائعين. ولكن ما حبيبى؟.. متدين؟.. لا دينى؟.. ملتزم؟.. لا ملتزم؟ علياء سميح؟.. محمود المحروقى؟!..آه.. إنه حبيبى وكفى ورزقى على الله. دائم البحث عن شيء مفقود. لو حلت مشكلتنا لعرف لنفسه مرفأ. ينطح الصخر ويقبض على الهواء. حجرة المعيشة تجمعنا.. أبى بمرضه وشيخوخته وإلحاده، ماما وبدانتها المفرطة وهموم الآخرين، سناء وضيقها بوضعها وشعورها الأليم بالغربة، أنا ومشكلتى المزمنة. فى الظاهر والداى قد أتما رسالتهما فأى سخرية. ها هو التحقيق الصامت يحاصرنى. ماذا بعد خطبة طالت أحد عشر عاما؟ ألا يوجد بصيص أمل؟

تقول سناء بصوتها الرفيع الحاد:

ـ لتنتظر حتى تترمل وهى مخطوبة!

فأقول لها بصرامة:

ـ لا شأن لك بى.

فتقول ماما :

ـ ذكريه يا رندة كى لا ينسى .

ـ نحن نعيش همومنا كل دقيقة فلا داعى للتذكير .

ثم بمزيد من الحدة :

ـ إنى رشيدة ، اخترت سبيلى بملء حريتى ، ولن أندم على شىء .

ويقول أبى بضجر :

ـ رندة رشيدة ومسئولة عن نفسها .

فتقول ماما بحسرة :

ـ كم من عرسان لقطة فقدناهم .

فأقول بكبرياء :

ـ لست جارية معروضة فى السوق للبيع !

ـ أنا أمك ، فوق أى شبهة ، تزوجت بالطريقة القديمة ووفقت والحمد الله .

ـ يا ماما لكل جيل طريقته ، وجيلنا فاق الجميع فى سوء حظه .

فيقول أبى باسما :

ـ جاء عصر أكل الناس فيه الكلاب والقطط والحمير والأطفال ثم أكل بعضهم البعض !

فقلت بمرارة :

ـ لعلنا أسعد من عصر آكلى البشر . .

وهتف أبى مغيرا الجو :

ـ حسبكم . . المسلسل التليفزيونى بدأ . .

انتزعتنى المقدمة الموسيقية التى أحبها من الصراع . بقوتها الانسيابية

دعت حبيبى فهبط من الغيب وجلس إلى جانبى. انقلبت فجأة إلى أنثى حالمة شديدة الفهم للحياة الزوجية. وطاردت دمعة خائنة أوشكت أن تفضحنى. هل تقبل الدنيا بدونه؟

وقالت ماما:

- يا بخت أبطال المسلسلات! . . فما أسرع أن يجدوا لمشكلاتهم الحل السعيد!

محتشمى زايد

فى وحدتى أنتظر، أحبك الروب حول جسدى النحيل وأسوى الطاقية فوق رأسى الأصلع، أربت على شاربى وفى وحدتى أنتظر. ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾. جرس الباب يرن. أفتح الباب فتدخل أم على. فى معطف سنجابى والخمار الأبيض يحدق بوجهها القمحى الريان.

- كيف حالك يا بك؟

- نحمده يا أم على.

- الشتاء لا يريد أن يرحم.

وكامرأة يوزن وقتها بالنقود خلعت المعطف وعلقته بمشجب قائم غير بعيد من الباب ثم مضت إلى حجرة نوم فواز وهناء. تبعتها كما نبه على. جلست على مقعد أتابعها وهى تكنس وتنفض وتنظف وتلمع وترتب. نشيطة خفيفة رغم امتلائها. يخافون أن تمتد يدها إلى شىء. سوء ظن لا مبرر له وهو من رواسب الماضى. أم على ساعتها بجنيه وتنتقل من بيت إلى بيت كالنحلة فإيرادها يزيد على مرتباتنا جميعا مجتمعة، ولكنى أرتاح إلى الانفراد بها. نزهة أسبوعية تنفخ فى وجدانى نغمة الحلم الغابر. الانفراد بها يتجسد فى حال يضطرب لها روتين الزمن. ويواجه الأنا القديم الأنا الطارئ فيتناجيان وبينهما فاصل الزمن بلغتين غريبتين لا تفضيان إلى تفاهم ثم يستعير القلب من مخزونه

البائد خفقة خاطفة تعيش حياة مقدارها ثلاثون ثانية. وعندما ما تنحنى لتعيد بسط الكليم أتصور أن أقرصها بحنان، مجرد تصور، فإننى مسيطر على زمامى تماما وهى مطمئنة من ناحيتى تماما. كأنها رجل فى النشاط والقوة وتماسك الشخصية. ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾. وأسألها متمرغا فى انفرادى بها:

ـ كيف حال المعلم؟

ـ ربنا يلطف به.

ـ الأولاد؟

ـ هاجروا، لم يبق إلا العبيط.

وتضحك ثم بدورها تسألنى:

ـ ما أخبار صاحب عمارتكم؟

ـ يئس وسكت.

ـ من كان يصدق أن الأرض تجن مثل بنى آدم؟!

ـ الجنون أصل كل شىء يا أم على..

ما أشد شعورى بالانفراد بك! حوالينا ولا علينا يا رب، كأيام شارع خيرت المسقوف بالشجر، وتحت مظلة من الأفكار الحرة المستوردة، فكرية ورتيبة المرضتان وشقاوة الغجر. الحياة فصول ولكل فصل مذاقه وطوبى لمن أحب الدنيا بما هى دنيا الله. فى زيارة لسليمان مبارك أبى رندة قال لى:

ـ أغبطك على صحتك يا محتشمى.

فقلت بثقة:

ـ الوراثة والإيمان يا عم سليمان.

فتساءل وهو ينظر نحوى بخبث:

- كيف أصدق أن مثلك يؤمن بالخزعبلات؟

- الله يهدى من يشاء.

- كأنك فى ماض ما، ما كنت ملحدا.

فقلت باسما:

- إيمان موروث، شك، إلحاد، عقلانية، لا أدريه، ثم إيمان!

فتساءل ساخرا:

- بوفيه مفتوح؟!

- هى الحياة الكاملة..

- إنى فخور بثباتى، راض بالعدم، عابد للحقيقة، وقد أوصيت زينب إذا جاء الأجل ألا ينشر نعى ولا تكون جنازة ولا مأتم ولا حداد!

- ما هو إلا نور يهبط فجأة فيبدد الظلمات.

- المسألة أن العمر تقدم بك حتى لاح لك الموت..

حوار عقيم، ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾. صديقى يعيش فى كون خال وأعيش فى كون آهل بالأحباب. أستغفر الله. يا لها من زيارة! زيارة أم على. ماذا يفعل المسكين علوان؟ محرومون وسط سيرك من اللصوص. أحدثه عن زمانى لعله. رمى ببهلوان يطلق فى العطسة عشرة شعارات عقيمة. أم على تنتهى من عملها. تغسل اليدين والوجه وترتدى معطفها السنجابى وتنظر فى ساعة يدها لتعرف مستحقاتها. أسلمها النقود فتذهب قائلة:

- فتك بعافية يا بك.

- مع السلامة يا أم على، لا تنسى الميعاد القادم.

وتعود الوحدة. أتمشى فى الشقة بعد تعذر المشى فى الشارع. القرآن

والأغانى، طوبى لكم يا من اخترعتم الراديو والتليفزيون. بامية ومكرونة الغداء. حبب الله إلىّ العبادة وجعل قرة عينى فى الطعام. أى وحدة والكون من حولى مكتظ بملايين من الأرواح؟أحب الحياة وأرحب بالموت فى حينه. كم من تلميذ قديم لى قد صار اليوم وزيرا. لا رهبانية فى الإسلام. ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها. كثيرا ما أحادث حفيدى المحبوب عن الماضى لعله من حيرته يخرج. أغريه بالقراءة وقليلا ما يقرأ، ويستمع إلىّ بدهشة من يعز التصديق عليه. دعنا من علياء سميح ومحمود المحروقى، ألم تحملك الأحداث على الإيمان بالوطن والديمقراطية؟ ما معنى الإصرار على التمسك ببطل منهزم راحل؟! كيلا تصبح الدنيا فراغا يا جدى. إنى ألفت نظرك إلى أشياء غاية فى الجمال. يضحك ويقول لى:

ـ ما أريد الآن إلا شقة ومهرا مناسبا!

كيف أستطيع تجنب هموم الدنيا ومعى حفيدى المحبوب؟! ما أجمل كرامات الأولياء!

علوان فواز محتشمى

علمنى زمنى أن أفكر. علمنى أيضا أن أستهين بكل شىء وأن أشك فى كل شىء. ربما قرأت عن مشروع منعش للآمال وسرعان ما يكشف المفسرون عن حقيقته فلا يتمخض عن أكثر من لعبة قذرة. هل تترك السفينة للغرق؟! هى عصابة مسلطة علينا لا أكثر ولا أقل؟! أين الأيام الحلوة؟ كانت توجد أيام حلوة لاشك فى ذلك. ولى أنا أيضا أيام. حين كانت الشقة عامرة بالأخوات والدفء وكانت الأعباء يسيرة. كان لأبى وأمى وجود فى البيت. كان يوجد حوار وضحك وحماس الدراسة وسطوة البطولة. إحنا الشعب. اخترناك من قلب الشعب. والحب كان باقة من الورد فى قرطاس من الأمل. فقدنا زعيمنا الأول ومطربنا الأول. يخرجنا من الهزيمة زعيم مضاد فيفسد علينا لذة النصر. نصر مقابل هزيمتين. اخترناك من قلب الشعب. وتجذب حبيبتى الشص من الماء فتخرج فارغة وتنغرز فى إبهامى وتترك أثرًا ما زال باقيا حتى اليوم. على شاطئ النيل أمام بيتنا قلت لها إنك لا تحسنين صيد السمك ولكنك اصطدت قلبى وأسلت دمى. من الأخوة إلى الحب حدث تغير بطىء مثل قرون أوراق الشجر التى تسبق بالظهور فى أوائل الربيع ولا ترى إلا عند التأمل. أنوثة وتورد الخدين ووشاية أعلى الفستان. باللغة حين تقول الكلمة شيئا وتشير إلى شىء آخر وتلاشت البراءة وحلت محلها مفاوضات وتوسلات من أجل لثمة فوق الخد أو

الشفة. أطيب ثمرة فى الشجرة أخلاق وعقل وجمال . يضايقنى أحيانا أن تبدو أعقل منى. لا أنسى حزن نظرتها عندما اعترفت لها بعجزى عن اختيار القسم العلمى. حوار طويل لم يجر على لساننا ولكنه يتربص بنا فى زاوية ما. أسرتانا سقطتا معا فى حفرة الانفتاح. شد ما يحزننى ألا تظهرى فى الملابس اللائقة بجمالك. أى مسئولية تثقل كاهلى. قلت لها مرة فى استراحة الهرم:

ـ فلنتسل بحصر أعدائنا.

فدخلت اللعبة قائلة:

ـ غول الانفتاح واللصوص الأماثل..

ـ هل ينفعنا قتل مليون؟

فقالت ضاحكة:

ـ قد ينفعنا قتل واحد فقط!

فقالت ضاحكة أيضا:

ـ إنك اليوم رندة المحروقى..

* * *

أنور علام المدير يستدعينى إلى حجرته ويطلب إلىّ أن أزوره فى مسكنه فى الخامسة مساء لإجراء مراجعة شاملة قبل إعداد الحساب الختامى. أخبرت رندة فلم تعلق. مسكنه فى عمارة نصف جديدة بالدقى تقع أمام أحد مداخل جسر ٦ أكتوبر. استقبلنى ببشاشة وهو مرتد بدلته وقال:

ـ لا تغرقك فخامة الشقة فأختى تعيش معى وهى أرملة غنية.. كأنما ينفى عن نفسه الشبهات. كل فرد مهدد اليوم بالشبهات. وعملنا بهمة حتى الساعة الثامنة. فى أثناء ذلك دخلت الأرملة بالشاى تعارف بيننا وقدمها قائلا «جولستان أختى». من النظرة الأولى شعرت بأننى أمام

امرأة يقع عمرها ما بين الأربعين والخمسين، مقبولة المنظر، ممتلئة فى تكوين حسن، مثيرة رغم رزانتها واحتشامها أو ربما لرزانتها واحتشامها. لم تجلس وقالت وهى تغادرنا:

- استبق الأستاذ للعشاء معنا.

فقال أنور علام:

- هذا أمر!

أعدت لنا مائدة من الشواء والسلطات المتنوعة والجبن والزيتون ثم مهلبية وتفاح. وسمعت أنور علام يقول ونحن نتناول عشاءنا:

- أنا وكيل أعمالها فقد ورثت عن زوجها عمارتين وشهادات استثمار.

لفت نظرى تعريفه لى بأملاكها فسرحت فى أكثر من ظن. وراح يحكى لها عن مشكلة خطبتى بإشفاق.

- هذه حال جيل بأسره.

فقال الرجل:

- ومما يزيد المشكلة تعقيدا أن علوان من أصحاب المبادئ!

فقالت بإعجاب:

- جميل أن أسمع ذلك، الأخلاق أهم شىء فى الدنيا.

نبرتها لا تدع مجالا للشك فى صدقها. إنى أجدها مثيرة للغاية. وإنى مخزن بارود عند أى إثارة. معاناتى فى هذه الناحية تستحق الرثاء. وقال أنور:

- أختى كاملة فى كل شىء إلا شيئا واحدا لا أوافقها عليه هو إعراضها عن أكثر من فرصة زواج طيب..

فقالت بهدوء:

ـ لست سلعة وليسوا رجالا . .

فقال أنور علام :

ـ ثراء المرأة قيمة مشروعة ولا عيب على الرجل إذا أولاها ما تستحقه بالإضافة إلى المزايا الأخرى .

فقالت السيدة جولستان :

ـ لا رجل جدير بالثقة فى هذا الزمان .

وملت إلى تغيير مجرى الحديث فسألت مديرى :

ـ معذرة يا سيدى لمَ لم تتزوج حتى اليوم؟!

فقال بغموض :

ـ أسباب كثيرة .

ولم يذكر سبباً واحدا فقالت جولستان :

ـ إنه مخطىء، وهو قادر على الزواج .

وراح يسألنى عن أسرتى وأسرة رندة وأنا أجيبه بصدق وإيجاز حتى قال :

ـ رندة فتاة ممتازة ولكن الزمن يسرقها .

طعنة وأى طعنة! مقصودة أم جاءت عفو الخاطر؟!

على أى حال أفسدت على السهرة. ولم يخفف من حدتها قول جولستان :

ـ الحب هو العمر الحقيقى . .

وغادرت المسكن مشحونا بالسخط على الرجل والإثارة من ناحية شقيقته .

رندة سليمان مبارك

اعتمدت رسائلى المترجمة من المدير ولم يبق إلا أن أذهب ولكنه مال بكرسيه المتحرك إلى الوراء وقال لى :

ـ آنسة رندة ، عندى حكاية تهمك .

ماذا عنده يا ترى؟

قال :

ـ هى طبيبة شابة ، كانت مخطوبة لطبيب زميل لأعوام ، يئسا من الزواج ، فسخا خطبتهما ، تزوجت من تاجر فى وكالة البلح ووافقت على رغبته على البقاء فى البيت كست بيت . .

دهشت واستأت ولكنى سألته بهدوء :

ـ لماذا تتصور أن هذه الحكاية تهمنى؟

فسألنى متجاهلا سؤالى :

ـ ما رأيك فى تلك الطبيبة؟

فقلت بشىء من الجفاء :

ـ لا أستطيع أن أحكم على واحدة لا أعرف ظروفها .

فقال بهدوء :

ـ أنا أعتبرها عاقلة ، فست البيت خير من طبيبة عانس!

غادرته بوجه لا أشك فى أنه عالنه باستيائى . له نظرات طامعة لا

يمكن تجاهلها. والحق أنه يشكل عبئا علينا. أنا وعلوان. في صباح الجمعة التالي لزيارته لبيت المدير ذهبنا إلى استراحة الهرم. الجو بارد حقا ولكن الشمس ساطعة، ونحن ننظر من عل إلى المدينة التي تبدو عظيمة هادئة مترامية كأنما خالية من الهموم والقاذورات. وسألته ونحن نحتسي الشاي:

- كيف كانت زيارتك للبك المدير؟

فأعادها عليّ بتفاصيلها، حتى أفسدت عليّ جلستي الحلوة. قلت:

- يبدو أنها لم تكن زيارة عمل!

- بل عملنا ثلاث ساعات متتابعة.

فقلت بتحد:

- أنت فاهم قصدي..

فقال بسخط:

- إنه شخص مثير للأعصاب..

- وأخته؟!

- عاقلة متزنة أحترمها كأم..

فضحكت ضحكة باردة وتساءلت:

- وهل عاملتك كابن؟

فتساءل محتجا:

- تحقيق واتهام يا رندة؟

فقلت بسرعة:

- لا سمح الله.

ورويت له ما دار بيني وبينه في مكتبه فقطب غاضبا وهتف:

- سأطالبه بألا يتدخل فيما لا يعنيه.

فقلت بتوسل :

ـ الأفضل أن نهمله كى لا تسوء العلاقة بينك وبين مديرك .

فقال بامتعاض :

ـ المسألة أن موقفى منك ضعيف لا أدرى كيف أدافع عنه . .

فقلت بلطف :

ـ لست متهما ولا أطالبك بدفاع .

ـ إنى مسئول وحزين .

ـ لا حيلة لنا .

ـ لكنه وغد ويعد خطة . .

ـ أهمله مع حقارته .

وصمتنا قليلا هاربين إلى رحمة الطبيعة حولنا حتى جاءنى صوته متشكيا :

ـ كأننا نسينا حديث الحب . .

فقلت مدارية حزنى :

ـ لسنا فى حاجة إلى مزيد منه .

فقال وهو يرمقنى بامتنان :

ـ أحبك .

فقلت وأنا فى غاية من التأثر :

ـ أحبك .

فتساءل فى حيرة :

ـ ترى ما المغامرة الشريفة التى تدر علينا ما نحن فى حاجة إليه من مال؟

فقلت باسمة :

ـ ألا تملك موهبة الفتى الأول فى السينما؟

ـ وأنت ألم تجربى صوتك ولو فى الحمام؟

وضحكنا رغم همنا المشترك، وقال:

ـ ليست المشكلة تحسين مرتب ولكنها مشكلة الخلو والأثاث أيضا.

ثم واصل بعد صمت قليل:

ـ المحروقى تزوج بكل بساطة، ولكنه يعيش فى مخيم مع طائفته. تخيلت المخيم وحياته. كأنه خيال لا حقيقة. رغم ذلك هفا فؤادى إليه. خيمة بسيطة ولكن يخفق بين جوانحها الحب. وفاض من قلبى نبع حنان متدفق. وقال بصوت دلنى على أنه يشاركنى أشواقى:

ـ شد ما أريدك أكثر من أى شىء فى الوجود.

انضباطى خلقة مركبة فى أعماقى منذ الصغر. حوارى مع رغباتى الجامحة دائما ينتصر. لم تؤثر فى تجارب شاهدتها عن كثب. حافظت على تصورى الوقور لمعنى الحرية. لم أتزعزع للتهم الساخرة المألوفة بالانغلاق والرجعية. ولم أبرأ من الحزن.

محتشمى زايد

ليلة أمس رأيت فيما يرى النائم سيدى أبا ذر. العبادة تغدق على شفافية وهابة للرؤى. لحبى الدنيا أقف عند ذاك الخط لا أتجاوزه. وترد على خاطرى هذه الحكاية «قال محمد بن العطار، قال لى الشيخ محمد راهين يوما: كيف قلبك؟ فقلت له: لا أعرف كيفيته، وذكرت ذلك لسيدنا شاه نقشبند وكان واقفا فوضع قدمه على قدمى فغبت عن نفسى فرأيت جميع الموجودات مطوية فى قلبى، فلما أفقت قال: إذا كان القلب هكذا فكيف يتسنى لأحد إدراكه؟ ولهذا قال فى الحديث القدسى: ما وسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن ترد على خاطرى تلك الحكاية فأغبط الأولياء وأتوق إلى الكرامات ولكنى أقف عند حافة بحر التصوف مستمسكا بالعبادة قانعا بها فى أحضان دنيا الله. وقد يرتد بصرى المتأمل الهادئ بنور من الوهاب. لا، ولا أندم على مراحل الحياة التى مررت بها فقد منحت كل مرحلة نورها. أعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا. ويدق جرس الباب عند الضحى. من القادم وليس اليوم بيوم أم على؟ وأفتح الباب فتدخل زينب هانم أم رندة. أستقبلها بترحاب وأنا أعجب لبدانتها رغم الضائقة. وتجلس فى حجرة المعيشة وأسكت الراديو فتقول:

ـ لا أحد لى غيرك يا محتشمى بك.

فقلت وأنا أسائل نفسى عما جاء بها:

ـ لنا الله جميعا . .

فواز بك وهناء هانم أولى بالحديث ولكن العمل المتواصل لم يترك لهما فراغا، ولا فائدة ترجى من مخاطبة علوان، ففيك الكفاية والبركة.

آه، فهمت كل شيء مقدما، إنها قادمة من أجل مشكلة علوان ورندة.

ـ إنى مصغ إليك يا زينب هانم.

ـ عندك حسن التقدير، البنت يا محتشمى بك على وشك الضياع.

ـ لا سمح الله.

ـ إنكم لدينا المفضلون على غيركم ولكن حتى متى ننتظر؟

شعرت بالخطر الزاحف نحو حفيدى المحبوب فتساءلت:

ـ زينب هانم، أليست رندة رشيدة ومثقفة وتميز بين ما ينفعها وما يضرها؟

ـ الحب يضل يا محتشمى بك، أصبح الحب فى هذه الأيام إلها.

هل تزوجت أنت عن حب يا محتشمى بك؟ هل تزوج فواز بك عن حب؟

ـ ولكنهما يؤمنان به.

ـ ونتركهما حتى يدمرهما معا؟

وتنهدت بصوت مسموع شأن العاجز فقالت ولغدها يتحرك:

ـ فلنبذل جهدا للإنقاذ وليفعل الله ما يشاء، ربما وجد كلاهما ما يناسبه.

ـ أهذا رأى سليمان بك أيضا؟

ـ إنه أبوها كما أننى أمها، وما يحزننا إلا أن علوان فتى طيب وجدير بكل خير . .

وتمتمت وأنا أختم الحديث :

ـ وسيئ الحظ أيضا .

فذهبت وهى تقول :

ـ اعتمادى بعد الله عليك .

يا له من صباح! قضى على أن أكون وسيط السوء إلى أعز الناس على قلبى . انكمشت فى مقعدى متلفعا بالكآبة . وفى أثناء الغداء لم أشر إلى الزيارة حتى انفردت بالشاب عصرا فى حجرة المعيشة . لم ينته بطبيعة الحال إلى معنى نظراتى حتى سألته :

ـ هل تغفر لي حديثا غير سار؟

فرمانى بنظرة متوجسة وقال ساخرا :

ـ هذا هو الأصل فى الأحاديث يا جدى .

ـ عن رندة يا علوان .

فتغير وجهه الحسن وغشيه الحب فعرضت الموضوع بتفاصيله . كور قبضته وألصقها بفيه معتمدا بكوعه على خوان قديم وقال :

ـ كأننى مجرم مطارد يا جدى .

ـ يجب أن نفكر بهدوء وشجاعة .

ـ أريد أن أعرف انطباعك يا جدى .

فازددت ضيقا وأنا أقول :

ـ لهم عذرهم ، هذا ما يجب أن نسلم به .

فقال بحدة :

ـ رندة ليست قاصرا .

ـ بلى ، ولكن الانتظار يبدو بلا نهاية .

ـ أنا لم أقصر .

ـ لا أحد يتهمك .

ـ الرأى الأخير لهم أم لها؟

ـ الآن وهو بين يديك أنت .

ـ أنا؟

ـ العمر يجرى ، وأنت فتى عاقل ، بيدك إنقاذها ، وربما إنقاذ نفسك أيضا . . إنه ليس مجرد سوء حظ . إنه خط طويل من المآسى . ٥ يونيو والانفتاح وروسيا والولايات المتحدة ومملكة المنحرفين .

وتساءل :

ـ لو أصررت على الرفض؟

فقلت بتسليم :

ـ افعل ما تراه صوابا . .

فهز رأسه قائلا فى غموض :

ـ أعدك بذلك يا جدى .

وعلم فواز وهناء بالموضوع مساء . وانفعلت هناء غاضبة وقالت إن قلبها لم يوافق على الخطبة إلا مضطرا . أما فواز فقال إنه طالما حذر ابنه من هذه النهاية المحتومة . وقال :

ـ الخطبة تعرقل الاثنين .

وقالت هناء تخاطبنى :

ـ أقنعه يا عمى ، إنه يعاندنا ولكنه يقتنع بك ، لو سمع كلامى من أول الأمر ما انتهى بنا الأمر إلى هذه الخاتمة المهينة!

وجالت بنفسى الآية الكريمة ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ .

علوان فواز محتشمى

لم يبق من الشتاء شيء والجو ينعم بصفاء نادر. السوء كله كامن فى وحدى. كان يجب أن أختار مكانا آخر غير استراحة الهرم. هذا الموقع عند حافة الهضبة سجل لنا أجمل الذكريات. هدوء نظرة عينيها ضاعف من إحساسى بالذنب. لا يوجد شخص يستحق الاحترام ولا فعل يستحق الثقة ولا وعد يستحق التصديق. ذلك التاريخ المنحدر ما بين العندليب الأسمر والغراب الأسمر فلتكف الدكتورة عن إلقاء الشعارات فهى زوجة وأم وشربت العشق حتى الثمالة فلنحتس الشاى فى هناء، أو لتهنأ به وحدها، أما أذوق له طعما.

- أعوذ بالله من صمتك!

فرنوت إلى هامات النخيل المنثور فوق المنحدر وسألتها:

- رندة، هل علمت بزيارة مامتك لجدى؟

فقالت باستهانة:

- لم تمر بسلام ولكن لا جديد تحت الشمس..

فقلت بأسى:

- لو صح ذلك لتزوجنا منذ سنوات.

- أراك متأثرا أكثر مما توقعت.

- اختنقت الأنفاس.

ـ اعتدنا أن نصمد حيال المعارضة .

ـ حتى متى؟

ـ لا أهمية للوقت .

ـ الوقت مهم أردنا أم لم نرد ، ومسئوليتى ثقيلة .

فقالت بحزم :

ـ لست معفاة من المسئولية ، إنى مثلك تماما .

ـ لا مفر من التسليم بأنى أهدر مستقبلك .

ـ ومستقبلك أنت؟

ـ الأمر يختلف وقد يتزوج الرجل فى الخمسين .

شحب وجهها وهى تتمتم :

ـ لأول مرة أجدك منهزما يا علوان .

فقلت بعد تردد :

ـ ربما لأننى أنتصر على أنانيتى لأول مرة!

فهتفت بفزع :

ـ رباه . . أتفكر حقا فى . . .

وأشفقت من إتمام جملتها فقلت وأنا أمرق من جرحى :

ـ إنى أحررك من قيدى .

قالت بانفعال شديد :

ـ علوان لا أطيق سماع ذلك .

ـ أعيدى التفكير فى موقفك بعيدا عن ظلى الثقيل . .

ـ إنى حرة ولا سلطان لأحد علىّ . .

ـ الأمر يتطلب إعادة نظر .

فتفكرت فى وجوم ثم قالت :

- إنه منطق سليم ولكنى أشك فى سلامته فى ظل حب حقيقى . .

فقلت بسرعة وحرارة :

- حذار من الشك فى ، لا تزيدى الموقف سوءا ، فالحب أيضا هو التضحية . .

- لا حاجة لك إلى التضحية . .

- إنى أقرر ما أراه صوابا .

فقالت بمرارة :

- قل إنك أصبحت تجدنى عقبة فى سبيلك .

- سامحك الله يا رندة ، لن أدافع عن نفسى . .

- إننى أرفض تضحيتك .

فقلت بوضوح :

- وأنا مصر عليها .

وفصل بيننا صمت أثقل من الليل الزاحف . انسحب كلانا إلى داخل ذاته . وباعد اليأس ما بيننا إلى ما لا نهاية حتى فقد مجلسنا أى معنى . قامت متثاقلة وهى تقول :

- لا وجه لبقائى هنا .

فقمت ضامر الحيوية . كأننا غريبان سيذهب كل إلى وطنه . ولا شىء أقوى من الحب إلا الألم . تخايلت لعينى الوحدة المتربصة بى فى نهاية الطريق . طوال الطريق لم نتبادل كلمة . ولا تحية عند الفراق داخل العمارة القديمة . وجدت والدىّ فى حجرتهما وجدى وحيدا أمام التليفزيون جلست على مقربة منه فنظر نحوى بتوجس واستطلاع ثم قال وكأنما يهرب من أفكاره :

- فيلم عن امرأة مجنونة ، لم أحبه . .

فجاريته متسائلا :

ـ ولم ترى ما لا تحب؟

ـ فى القناة الأخرى خطبة .

ـ ولم لا تغلقه؟

ـ هو خير من لا شىء .

فقلت :

ـ الخطبة فسخت!

وجم وتجلى فى عينيه الخابيتين الهم ثم غمغم :

ـ أعانك الله على بلواك!

فقلت بجفاء :

ـ فسخت وانتهى الأمر .

فقال بأسى :

ـ لدى شعور بالذنب .

فقلت بصوت بارد :

ـ لا ذنب لك يا جدى .

رندة سليمان مبارك

رأيت صورة وجهى معكوسة فى نظرة أمى التى استقبلتنى بها. ها هى تدارى عينيها فى إشفاق وما يشبه الخوف. قلت لها على مسمع من أبى:

ـ هنيئا لك، نجح مسعاك.

فغرقت أكثر فى الصمت حتى اغرورقت عيناها، وإذا بأبى يقول:

ـ إنى مطمئن إلى رجاحة عقلك.

فقلت محتجة:

ـ بابا.. من فضلك لا تعاملنى كطفلة..

فقال بهدوء:

ـ لن تندمى، سوف أذكرك بذلك فى يوم قريب.

ونطقت أمى لأول مرة وقالت:

ـ أنت مؤمنة ولا خوف على مؤمن.

وقال أبى:

ـ أمك لم تخطئ يا رندة!

ولكنها دنيا جديدة تماما التى علىّ أن أعايشها منذ الساعة. دنيا لا يوجد بها أثر لعلوان. دنيا على القلب أن يصبر عليها حتى يجيئه الفرج بموته. ودهمنى شعور قاس بتقدم سنى وأننى أطرق أبواب العنوس

برجاء خائب. وتبدت لى حجرة نومى قديمة بالية بسريريها العتيقين وصوانها المقشر وسجادتها الجرداء التى لم يبق من رسومها إلا خيال. حتى سناء أختى باتت مضجرة مؤذية وهى تقول لى ببرود:

ـ إنك تستحقين التهنئة.

وثار غضبى على علوان. أثبت أنه أضعف مما تصورت. وأنه خليق أن يبقى حائرا بلا مرفأ إلى الأبد. بل لعله سرعان ما ينحرف، أو يبيع نفسه لامرأة مثل جولستان. الحقيقة أنه ضاق بحمل المسئولية. إنه يهرب من عجزه. وفى ظنه أنه لن يرمى بعد اليوم بالعجز عن الزواج. وقلت لنفسى إننى يجب أن أسعد بالتحرر منه. إننى أخف مما كنت فى أى يوم مضى. هجرنى وخاننى. من غيره يسأل عن تعاستى ذات الأنياب الحادة. يجب أن أهنئ نفسى على التحرر منه. من الآن فصاعدا أستطيع أن أزن الأمور بعقل غير مشلول بقيود القلب. أنا حرة.. أنا حرة.. حسبى ذلك. ماذا يعنى أنور علام بقوله؟ يا للتعاسة التى تتمطى بلا حدود! هل يشفى الزمن حقا من الحب؟ متى؟ وكيف عليه اللعنة؟ سأضاعف له الازدراء كلما ضاعف لى الذل. والدى يمعنان فى الهرب حتى ينظما صفوفهما. أول النصر هزيمة ثم ينتصر. هرب وتحررت. احملى ألمك بشجاعة حتى يتبخر. انتظرت حضوره فى الإدارة صباحا مصممة على لقائه كزميل وكأن شيئا لم يكن تماديا فى إعلان اللامبالاة. لكننى لم أستطع. لم أنظر نحوه ففضحت تعاستى. ترى كيف بات ليلته؟ شاركنى العذاب أم غط فى نوم الراحة والحرية؟ وكان لابد للسر أن ينكشف فعرف فى الإدارة وأحدث فى الظاهر على الأقل وجوما. لم يعلق أحد بكلمة. لعل المفلسين قد سعدوا فالتعساء يتعزون بالتعساء. ولما جاء دورى للمثول بين يدى مدير الإدارة أنور بدا علام أول الأمر جادا أكثر من المألوف. ولكنه قبل أن يأذن لى فى الانصراف قال:

ـ علمت وأسفت!

فلذت بالصمت فقال :

ـ لكنها نهاية محتومة، وفى تقديرى أنها جاءت متأخرة .

ثم بنبرة أقوى :

ـ مثلك لا يصلح لها أن تعلق مستقبلها بوعد المجهول كأنك لا تدركين قيمتك الحقيقية .

ولم أنبس بكلمة فقال :

ـ عندما قلت يوما إن لكل مشكلة حلا كنت أفكر فى هذه النهاية وإن يكن كل وجود إلى زوال فالحزن لن يشذ عن هذه القاعدة!

ثم قال وهو يعيد إلى الإضبارة :

ـ نصيحتى يا آنسة رندة أن تتذكرى دائما أننا فى عصر العقل وأن تعتمدى عليه كل الاعتماد فكل ما عداه باطل . . باطل . . باطل . .

وطوال حديثه يصفحنى بنظرات جريئة لم يعد يخفف منها الحاجز الذى كان قائما . لم يخف نفورى منه ولم يزدد ولكننى لم أعد أجده ظاهرة شاذة . وفى المساء قال لى أبى :

ـ أود أصارحك يا رندة بأنه لو كان كامل الإخلاص لما تخلى عنك أبدا .

بابا ساخر يسىء الظن بالبشر ودأبه التنقيب وراء كل فعل حسن حتى يعثر له على تفسير قبيح . ورغم أننى ملت لتصديقه إلا أننى قلت :

ـ لأنه لم يعد يحتمل المزيد من اللوم فقد أقدم على تضحية أليمة . إنى أعرفه خيرا منك يا بابا .

فقال باسما :

ـ أتنبأ لك بخاتمة سعيدة .

ولم أعلق بكلمة قال :

ـ ما دمنا قد تحررنا من الحب فلنكل مصيرنا للعقل ، وفى هذه الحالة لا غضاضة من الاستماع لرأى الآخرين .

فقلت باستياء :

ـ إنه أمر يعنينى وحدى .

ـ بل يعنينا جميعا .

وأسفاه ! علوان يمعن فى البعد وها نحن نتحدث عن حياة جديدة .

محتشمى زايد

الحمد الله . كل شىء طيب لولا حزن علوان . ربيع هذا العام لطيف نادر الخماسين فمتى يسلو علوان وينسى . الحمد الله . فاليوم يمضى بين العبادة والتلاوة والطعام والأغانى والأفلام . عند الثمانين نتوقع قدوم ضيف لا ريب فيه فاللهم حسن الختام . اللهم جنبنا العجز والأوجاع وانشر ندى رحمتك فى أركان هذا البيت القويم . ودنيا الله جميلة خليقة بكل حب فأى روح شريرة قد حلت بها . السماء والنيل والاشجار وأسراب الحمام وهذا الصوت المليح ﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ لو تركت وشيخوختى لكنت سعيدا ولكنى لا أترك فى سلام . سقيا لعهد الإيمان الساذج كما تذكره الذاكرة ، وعهد الشك ومنازعاته ما أثرها بفتنة اليقظة . وعهد الإلحاد وتحدياته وغناها بالشجاعة والاقتحام ، وعهد العقل وحواره الدائم ، وأخيرا عهد الإيمان والأمل . أصبح الموت آخر المغامرات الواعدة . مناجاته تهون حمل الأعباء على الحامل . سيجىء فى ساعة ما سافرا عن وجهه وسوف أقول له بكل مودة اقطف الثمرة وهى فى تمام نضجها .

يوما كنت أحدث علوان عن المسلسل التليفزيونى الجديد فقال لى :

- جدى، أهنئك على راحة بالك.

أزعجنى قوله فقلت له:

- فى صوتك احتجاج يا علوان.

فضحك فى حياء ولم ينبس فقلت:

- توجد مرحلة أخيرة اسمها الشيخوخة، إنى أمد يدى لأقبض على حلقة الثمانين في مرقى الجبل فمن حقى أن أركز على خلاصى تاركا هموم وطنى لبنيه، وقد قمت بالتزاماتى فى حينها على قدر استطاعتى. وحاولت جهدى على حملك على الالتزام وما زلت أحذرك عواقب الشيخوخة المبكرة، إن قاموسك لا يحوى إلا بطلا شهيدا واحدا. قضيت فترة متلقيا مسحورا، وتقضى الأخرى متحسرا حائرا، أقل ما أقوله عن نفسى إنى شهدت من تلاميذى ثلاثة من الوزراء!

فتساءل ضاحكا:

- أتعد ذلك من حسناتك يا جدى؟

فما تمالكت من الضحك عاليا وقلت:

- إن تكن الأخرى فلندع الحكم للتاريخ، أمامكم تحديات خليقة بأن تخلق أبطالا لا حائرين!

وربت ذراعه بحنان ثم واصلت:

- قم بواجبك فى حينه حتى تفرغ ذات يوم لطريق الله وأنت مطمئن الضمير.

لو وهبنى الله الكرامات لأوجدت له شقة ومهرا ولكن العين بصيرة واليد قصيرة. إنه الآن يصارع ألمه وجراحه وما أملك له إلا الدعاء. وأذكر سخريات سليمان مبارك وألد رندة فى زمن مضى:

- ترى هل نسى الدرويش الماكر عهد فسقه ومجونه؟

فقلت له باسما:

- حل الحب محل الخوف فيما بينى وبين ذى الجلال.

- تنافس إبليس بالطول والعرض ثم تطمح إلى الغفران.

- حتى عهد المجون أعتبره من أطيب ذكريات الحياة.

فصاح الرجل ساخرا:

- اشهدوا يا هوه!.. واعجبوا لهذا الدرويش المودرن..

- يا مخرف، لقد بلغت فى الطريق درجة من الوعى أجد فيها عند أغنية «حبايبى كتير يحبونى لكن أنت اللى شاغلنى». روحا من الصوفية.

فقهقه متسائلا:

- وماذا تجد فى أغنية «يوم ما عضتنى العضة»؟!

- اسخر ما شئت، إن نزوات المربى الفاضل التى مارسها وراء ستر وقاره لم تكن إلا صلاة شكر ساذجة.

فهتف:

- محتشمى، أشهد أنك ولى مغانى الهرم وملتقى مهربى الانفتاح. المشكلة الحقيقية هى علوان. ترى هل يعتبرنى المصدر الذى انطلقت منه شرارة تعاسته؟

- أود يا علوان أن أحمل عنك بعض حزنك!

فقال بضيق:

- الحق أننى لا أدرى ماذا أفعل بحياتى.

- سيبلغ البلد يوما شاطئ الأمان.

- سأبلغ الشيخوخة قبل ذلك.

فقلت متنهدا:

-﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ .

- ما أسرع أن تجدوا النجاة فى جملة جميلة يا جدى .

- علوان، فى الثلاثينيات فصلت من عملى بتهمة تحريض الطلبة على الإضراب، كنت صاحب أسرة وأبناء ومن كبار الفقراء، اشتغلت بمدرسة الإعدادية الأهلية بمرتب حقير، وأمسكت حسابات بقال من أصدقائى، ومكثنا عاما كاملاً لا نطبخ إلا العدس، وعندك أبوك فاسأله . .

تابعنى بنصف وعى ثم قال بامتعاض :

- بت أكره نفسى .

فقلت برجاء :

- لعله إيذان بميلاد جديد .

فقال ساخرا :

- أو موت جديد .

فقلت بحرارة :

- ليكن حديثنا عن الحياة لا الموت .

وترددت فى نفسى الآية الكريمة ﴿من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ .

جريح القلب والكرامة. أهيم على وجهى ككلب بلا مأوى. حرارة الجو تبخر لذة المشى. مقهى ريش منقذ من ضجر الوحدة. أجلس وأطلب القهوة وأرهف السمع. هنا معبد تقدم به القرابين إلى البطل الراحل الذى أصبح رمزا للآمال الضائعة آمال الفقراء والمعزولين. هنا أيضا تنقض شلالات السخط على بطل النصر والسلام. النصر يتكشف عن لعبة والسلام عن تسليم. على مسمع من السياح الإسرائيليين. أسمع وأهنأ بشىء من العزاء. أنتم إذا شئت حزب وهمى لا شعار له إلا الرفض. إن أضجرك الكلام فمد البصر إلى الطريق. راقب حركة الذاهبين والجائين. حركة سريعة لا تتوقف ولا تنقطع. وجوه مكفهرة ماذا وراءها؟ الرجال والنساء والأطفال، حتى الحبالى لا يقرن فى بيوتهن. كل يحمل مأساته أو مهزلته. حوانيت الأثاث والبوتيكات مكتظة. كم أمة تعيش جنبا إلى جنب فى هذه الأمة؟ أضواء الميدان قوية مثيرة للأعصاب، ومثيرة للأعصاب أيضا قوارير المياه المعدنية على موائد السياح. ماذا نشرب نحن؟! وأغرب الأغانى تنطلق من التاكسيات فى راديو المجاذيب. لا يبقى على حاله التى كان عليها إلا الشجر والعمائر. وتدوى خطبة من راديو فى مكان ما فتنشر الأكاذيب فى الجو مع الغبار. تعب.. تعب.. فلنعد إلى الكلام. خرابة صغيرة بمائة ألف. الجرائم الأكاديمية فى الجامعة. كم عدد أصحاب الملايين؟

الأقارب والأصهار والطفيليون. المهربون والقوادون والشيعة والسنة. حكايات ولا ألف ليلة. الجرسون عنده أيضا حكاية وعند ماسح الأحذية. متى تبدأ المجاعة؟ الرشوة عينى عينك بأعلى صوت. الاستيلاء على الأراضى. شيخ العصابة له أوراد. والفتنة الطائفية من يوقظها؟ مجلس الشعب كان مكانا للرقص فأصبح مكانا للغناء. الاستيراد بدون تحويل عملة. أنواع الجبن. البنوك الجديدة. بكم البيض اليوم؟ والنقوط فى ملاهى الهرم. وفسخ الخطبة! ماذا قال إمام الجامع على مسمع من جنود الأمن المركزى؟ لا مرحاض عام فى الحى كله. لم لا نؤجرها مفروشة؟ ما هو إلا ممثل فاشل. وضرب المفاعل العراقى؟ صديقى بيجين. . صديقى كيسنجر. الزى زى هتلر والفعل شارلى شابلن. ويسود صمت شامل ريثما تذهب امرأة قادمة من الطريق إلى بيت دعارة وراء المقهى وتعقد مقارنة بين تضخم عجيزتها والتضخم المالى العام. متفائل يؤكد أنها تشتغل لتجمع رسوم رسالة الدكتوراه وأن قلبها أنقى من الذهب. شاب شاذ يقترح الشذوذ كحل لأزمة الحب فى الطبقة ذات الدخل الثابت وأيضا لتحقيق الهدف من تنظيم الأسرة. لا خلاص إلا بالخلاص من كامب ديفيد. العودة إلى العرب والحرب. حرب أبدية والويل لعملاء التطبيع. كفى. . كفى. . فى الوقت متسع لقليل من التسكع. الفرار منك جهد ضائع يا رندة. مرض الحب بطىء الشفاء وأخاف أن يكون من الأمراض المزمنة. لا يعزينى عن إساءتى إليها إلا أننى أسأت ضعفين إلى نفسى. وعندما رأيت والدى على مائدة العشاء حسدتهما. أراحا نفسيهما من هموم كثيرة بالعمل. التهمهما العمل وهذا شىء حسن. ليس كما كنت أتصور بكل حزم يقولان:

ـ أعفنا من الحديث عن نفسك أو عن البلد. حسبنا أننا نشقى من

أجلكم. حل مشاكلك بنفسك والبلد له رب . اذكر أبى المخضرم في حماسه.

هتف للثورة ولبس الحداد فى هزيمتها وقضى عليه فى الانفتاح. سمعته يقول:

- تمر الأيام فلا أجد وقتا لحلق شعرى أو تقليم أظافرى.

وسمعته يقول لجدى:

- أنحشر فى الباص وآخذ هناء فى حضنى لأبعد عنها أحضان الجياع.

ومرة قال لى:

- يوم الجمعة، يوم العطلة، تتراكم الواجبات، وقت للحمام، وقت للعزاء، وقت للاعتذار، ساعة واحدة للاسترخاء وفيها تهجم على همومك وهموم البلد.

فى تخبطى ألقى أستاذتى فى نادى الخريجين، يا أستاذتى لقد فسخت الخطبة. غير موافقة طبعا وتطالبنى بإعداد لقاء بينها وبيننا مجتمعين. الوداع يا أستاذتى مضى وقت الكلام. أعدك بأن أكون عدو للكلام بقية العمر. وخيل إلىّ أن المحروقى حل مشاكله بالمروق من العصر. إنه يعتقد أنه هزم العصر وطوعه لأغراضه. ماذا صنع بنفسه؟ تعلم حرفة السباكة. دفن شهادته فى أول وعاء قمامة. سألته والدكان؟ أجاب دون أن يبتسم فنادرا ما يبتسم «أسير حاملا حقيبة حاوية للأدوات وأنادى سباك. . سباك. فتنهال علىّ الطلبات، سأصير قريبا أغنى من سيدنا الزبير. وعندما هممت بالانصراف قال لى ساخرا: «أدعوك للدخول فى دين جديد اسمه الإسلام» ولما خلا أنور علام إلىّ قال:

- آسف، ولكنك فعلت الصواب، وسوف تضحك لك الدنيا.

وعقب انقضاء أسابيع دعانى إلى عمل عاجل فى شقته بالدقى. ولما انتهينا من العمل دعانى للعشاء. توقعت ذلك من بادئ الأمر. وشاركتنا العشاء جولستان فلم أدهش. أعلنت أسفها على فسخ خطبتى بكلمة عابرة ثم تركز الحديث على الغناء الحديث. وأسمعنا أنور علام شرائط متنوعة كعينات منه.

- يبدو أنك تحبه يا بك.

فقال ببساطة:

- على الأقل لا أنفر منه.

وتلاقيت مع جولستان فى نظرات مسترقة باحت بمودة لا خفاء فيها. دافئة وعميقة ومراوغة. إنها غير مقصرة فى إبداء مفاتنها ورزانتها معا. كأنما تقول لى إنى امرأة فاضلة ولكن لا حيلة لى مع مفاتنى. هل يعجبك هذا الطراز من النضج الأنثوى المتخطى للشباب؟ المسألة بالنسبة إلىّ مسألة جوع أولا وأخيرا. لعلها تنظر إلىّ باعتبارى حملا على حين أنظر إليها بعينى ذئب. أى ضغط يزاح عن أعصابى لو أذعنت لى كخليلة! لكن كيف؟ ومتى؟ وأين؟ وقال أنور علام:

- بعد شهر على الاكثر ينتهى العمل فى فيللا جولستان الجديدة، وسوف تنتقل إليها وتتركنى وحدى.

فسألته مجاريا لمسرى الحديث «ولم لا تنتقل معها يا بك؟».

فأجاب:

- إنى أفكر فى إعداد شقتى للزواج، آن لى أن أتزوج!

الأمل فى الزمن. هو أيضا يميت ويحيى. سيهلك المكروب ذات يوم ويتجلى وجه الشفاء. ولن يخذل الله مؤمنا صادقا. اليوم نتبادل الحديث ونتعاون كزميلين فى مكتب واحد. كزميلين غريبين لم يذوبا فى قبلة قط. وأحيانا أراه ـ مثلى ـ يستحق الرثاء. لم أعد أدينه ولم أعد أحترمه. التجربة الجديدة التى تقتحمنى هى أنور علام. يستقبلنى ببشاشة غير عادية. ويحاورنى مداعبا معلنا عن إعجابه ومودته. إنى أتوقع وأفكر تحت مظلة من الكبرياء تأبى التسليم بالهزيمة. من ناحية أخرى قدرت ماما أن الهدنة انقضت وأنه آن لها أن تتكلم فقالت لى ونحن جلوس معا فى حجرة المعيشة:

ـ علمت أن إبراهيم بك مستعد أن يتقدم من جديد.

إنه كهل صاحب مصنع معادن تقدم منذ عامين ورفض. والظاهر أنها لاحظت استيائى فقالت:

ـ نحن متفقان على أنه طالما لا يوجد ارتباط فالأمر يفصل فيه العقل وحده.

فقلت معترضة:

ـ لكنه أرمل وأب!

فقالت برجاء:

ـ ولكنه غنى ومستعد أن يأخذك بملابسك.

ـ ليست مجرد بيع وشراء.

ـ ولكننا لن نجد مثله بسهولة .

فقلت بحدة :

ـ لست متعجلة .

فقالت بإشفاق :

ـ الزمن يجرى بسرعة . .

فقلت بتحد :

ـ لن أكون أول عانس فى التاريخ .

لزم أبى الصمت طوال الوقت . ولم أكن صادقة تماما فى التعبير عن حالى ، فالحق أننى راغبة فى إثبات وجودى ولكن ليس على حساب كرامتى ، الكفاءة يجب أن تشمل المال والاحترام ، أنور علام يملك الاثنين ، ولو كانت به شبهة لطبقت الآفاق . وهو على الأقل مقبول وغير منفر شكلا ، والفجوة بين عمرينا معقولة لدرجة . أما الحب فمن الحماقة أن أفكر فيه الآن . ولم يطل بى الانتظار ، فعلى أثر اعتماد تقريرى ذات صباح قال لى :

ـ يصح الآن أن أسالك عن رأيك !

تساءلت وقلبى يخفق بالتوقع :

ـ فيم يا بك؟

ـ إنى أطلب يدك ، ما رأيك؟

فلذت بالصمت كالمبغوتة فقال :

ـ لعلى لا أجيد حديث الحب ، لكنه موجود ، لست خياليا وحسبى أن أقول إنى أجدك حائزة لكافة الشروط بكل جدارة . .

فهمست :

ـ الأمر مفاجأة .

ـ طبعا تطلبين مهلة للتفكير، معقول، لكن دعينى أزكى نفسى بالقدر اللازم، فمثلى لا يشرع فى الزواج إلا إذا كان على يقين من قدرته لحمل مسئوليته . .

ـ إنى شاكرة وسأفكر فى الموضوع . .

وعرضت الموضوع على والدى مساء. وقالت أمى بلا تردد:

ـ على خيرة الله.

وقال أبى:

ـ نوافق على ما توافقين عليه.

ولما انفردت بأمى سألتها عما يمكن أن نقدمه فقالت بمرارة:

ـ من ناحية أبيك لا شىء، من ناحيتى فلدى بقية من حلى يمكن أن أجهز شخصك بثمنها، ويستحسن أن يعرف الرجل كل شىء . .

مرارة التجربة التى طحنتنى مزقت أقنعة الحياء الفارغة. أنضجتنى أكثر مما قدرت. صممت على الجهر بالحقيقة على أنه لم يكن فى حاجة إلى صراحتى لسابق علمه بأزمتى. وقال لى أيضا بصراحة:

ـ سأقوم بتأثيث الشقة وحسبى ذلك.

فوافقت طبعا فقال:

ـ يجب أن نعرف للوقت قيمته وأن يتم كل شىء فى أقصر وقت . .

وتم إعلان الخطبة فى شقتنا. اقتصر الحفل على والدى وأخواتى، ومن ناحيته على جولستان هانم وأخ طاعن فى السن. لم يشهده أحد من جيران العمر. وقد أهدتنى جولستان قلادة ذهبية ذات فص ماسى ثمين. وكنت فى أعماقى متوترة الأعصاب ولكن ضبطت انفعالاتى بقوة ومثلت دورى بلباقة حسدت نفسى عليها. ولما انفردت بسناء فى حجرتنا انهار سد المقاومة فأجهشت فى البكاء. ورمقتنى بوجوم مليا ثم قالت:

ـ ليكن هذا وداعك الأخير للماضى العقيم .

فقلت مولولة :

ـ خسرت أثمن ما فى حياتى . .

فعطفت علىّ أكثر من أى وقت مضى وقالت :

ـ لا أوافقك ولكن لندع كل شىء للزمن .

محتشمى زايد

فوقنا على بعد أشبار ثمة حفل لإعلان خطبة رندة. علوان انتهى من ارتداء قميصه نصف الكم وبنطلونه الرمادى. بدا ساعداه مفتولين وزغب صدره من فتحة القميص فاحما، وتجلى الانسجام فى قسمات وجهه المحتقنة بالحزن، شباب وجمال وأسى، ماذا يعتلج فى أعماقه فى هذه الساعة اللعينة؟ لم أذق مرارتها إلا فى الشعر. هل لدى ما أقوله له؟ لم أجد سوى نظرة وابتسامة. ورفع يده تحية ومضى وهو يقول كعادته:

ـ فتك بعافية يا جدى.

وساء طبعى فجأة كأنما ازدردت كيلو شطة وفلفل. رميت بعيدا عنى بخور العبادة. عالم مجنون وبائس. أيها الأحباء الراقدون تحت الأرض ما أكثركم. رأسى ثمل بذكرياتكم دون سبب واضح. وسبقكم مئات الأنبياء والأولياء فلينعم التراب بأطيب ما فى الحياة. لماذا يتدفق الماضى فى روحى كشلال وبقوة بركان ثائر؟ هتافات الثورة تدوى من جديد، الاستقلال التام أو الموت الزؤام، الشعب فوق الملك. أزيز النار المشتعلة فى القاهرة، عظمة الراحل وهزيمته، عظمة خليفته ونكسته، الجنون يشق طريقه فى الصخر حاملا الجوع والديون، أيها الأحباب الذاهبون ما أكثركم، ما فكرتم فى الموت ولا جرى لكم المرض فى حساب، ومنكم من مزج الكونياك بالزنجبيل وطارد النسوان فى الموالد، ومن كان يخلع نفسه من مائدة القمار ليصلى الفجر حاضرا، ومن رمى نفسه فى

مياه النيل المشعشعة بضوء القمر والزورق الشراعى يدور حوله حاملا الحشاشة المجدع، وفتية القدر الذين تسلحوا بالإيمان والأحجار وخرجوا يتحدون الشرطة والجيش فى عيد الدستور الملغى، إنى أشهد المعركة وأسمع أزيز الرصاص ووقع الأقدام الثقيلة المطاردة، ما أكثركم أيها الراحلون الأعزاء! وما أجهل القبور اللامبالية بأقداركم! وذكرى جدى الأزهرى مدرس النحو الذى كان يخاطب جدتى الأمية بالفصحى وخلف ذرية من العقلاء والمجانين ما زالت حتى اليوم منجبة للعقل والجنون، ما ذنب حفيدى يا حثالة الأرض؟ ورثتم أبناءكم المال والأمان وأورثتمونا الضياع والفقر والديون وكأن الثورة ما قدمت إلا من أجل سعادتكم وتعاستنا. آه يا ربى متى تهبنى الشجاعة لأنبذ الدنيا وما فيها؟! حتى متى أحن إلى كرامات لا تتيسر؟ متى أطير فى الهواء أو أمشى فوق الماء؟ متى أشير إلى الظالم فأصعقه وأريح الدنيا من شره؟ الحق إنها تجربة فاشلة وأن الإنسان عجز عن أن يتعامل معها كنعمة كبرى فنجسها بالغدر والأنانية والخيانة، ها أنا أتمشى فى الشقة لأفرخ غضبى، وها أنا أتصفح قطع الأثاث البالية كأنما أودعها، وأقرأ وسط مسند الكنبة حكمة مرقومة بالخط الفارسى الأسود وسط هلال من الأصداف «من تأنى نال ما تمنى»، أى أناة يا ربى؟ صبرنا آلاف السنين حتى انقلب الصبر رذيلة والتمنى عاهة، وأشرب قدحا من الأنيسون وأعود إلى مجلسى، وترف على شفتى ابتسامة، ابتسامة؟! من أى مكان فى الغيب وردت؟ هذه الابتسامة الضالة فى غابة الأحزان، تقول إنها قادمة من زمن الجنون المليح مقتحمة جدار التقوى، ندية بأنفاس الخمر وعرق الغانيات فى البقاع المحرمة، من محراب أقران الشباب والنزق والجهاد، ضحكاتهم تطير فى الفضاء البعيد لم تظفر بعد بجهاز استقبال يعيدها إلى الأرض، وزمردة ترقص شبه عارية وتغنى «المية حصلت نصى»، ليالى العربدة والمجون والمنبوذين بلا ذنب، حيث تتجلى الحكمة والصدق فوق جباه

العــاهرات والقــوادات، يقلن لنا بكل تواضع ألسنا أرحم بكم من حكامكم العظام؟ نحن نبذل أنفسنا فى سبيل الترفيه عنكم وهم يضحون بكم بغية الترفيه عن ذواتهم، فإلى جنة الخلد يا زمردة ويا لهلوبة ويا أم طاقية، ويا جميع المنحرفين والمنحرفات ممن لم نقر بفضلهن حتى ورد الزمان علينا بأبطال النحس والفاقة والهزائم، سقيا لليساليكم المنزوية فى أعطاف الدخان والنشوة، المنطوية فى فنون التلميع والتسمين، المبذولة للدهن والتمشيط، كل جهد وتخطيط من أجل الآخرين، والرضا بعد ذلك باللقمة والازدراء وشماتة الشامتين، هذا ما قالته ابتسامة رفت فى غير أوانها وفى ظل زمن مجنون وقلب كسير، والندم كبير والطمع فى المغفرة بلا حدود، والضيق بالغ غايته من كثرة الأسئلة عما يجوز ولا يجوز وعما يجب أو لا يجب على حين ينشغل اللصوص بتوزيع الغنائم، أستعيذ بالله وبكل صاحب كرامة وبكل مالك علم أن يقدم لتبديد ظلمات هذا الليل الطويل. وجاءنى فواز وهناء قبيل النوم وسألنى الرجل:

- ماذا تتوقع لعلوان؟

فقلت بهدوء يوحى بالثقة:

- كل خير، إنه قوى، وسوف يعبر الأزمة بسلام.

وقالت هناء:

- إنه الآن حر ويستطيع أن يشق طريقه كيفما يشاء.

- لا تنس أنه هو صاحب القرار..

تمنيت أن يرجع قبل أن أخلد للنوم، وعرضت لى فكرة قديمة جديدة وهى أن الإنسان يجب أن يعشق الدنيا وأن يتحرر من عبوديتها فى آن. وعدت أقول لنفسى ما أكثر الأحباب الذين ذهبوا، وهل حقا عاشرتهم طويلا فى هذه الدنيا الدائبة على أكل بنيها؟!

علوان فواز محتشمي

قمت بدورى بكل صفاقة. أقبلت على رندة فى مجلسها بالمكتب باسطا يدى وقلت:

- أصدق التهانى.

رمقتنى بلمحة عابرة وتمتمت:

- شكرا. عقبى لك.

وانتهزت فرصة خلو المكان لفترة قصيرة فقلت لها من موقعى القريب منها:

- لا أخفى عنك أننى تمنيت لك زيجة أفضل.

فتساءلت بهدوء:

- ما لها هذه؟

- الحق.. أريد أن أقول إنك تستحقين أحسن زيجة.

فقالت باسمة فى غموض:

- إنه حسن ظنك!

وقلت لنفسى إنه علىّ أن أطوى هذه الصفحة إلى الأبد. ولتتحمل الألم حتى تمحقه محقا. إن استسلمت للحزن جننت. ولما علمت بوصول المدير قصدته فى الحال وقلت له:

- معذرة، إنى قادم للتهنئة.

فقال بمودة :

ـ لولا انصرافك عن الموضوع ما اقتربت منه .

ـ إنك دائما تفعل الصواب .

ـ شكرا وعـــقـــبى لك ، عليك من الآن فــصــاعــدا أن تفكر في مصلحتك . .

لم أدر ماذا أقول فواصل :

ـ الطريق واضح وما عليك إلا أن تفكر بصفاء .

فقلت وأنا أهم بالذهاب :

ـ نصيحة ثمينة يا بك .

فقال بسرعة :

ـ أنا مكلف بدعوتك ، شقيقتى دعتنا لحفل شاى صغير ابتهاجا بانتقالها إلى الفيللا الجديدة . .

حقا إن الطريق واضح . وقلت :

ـ يسعدنى أن أقبل الدعوة .

قبلت الدعوة رغم أن فكرة بيع نفسى لم تخطر لى ببال . وقصدت العنوان حوالى السادسة مساء فى جو حار رطب . وجدت الفيللا غير بعيدة عن عمارة أنور علام . صغيرة وأنيقة وذات حديقة ثرية بأشجار الورد البلدى والبنفسج ، جلست فى ثوى جديد وردى اللون محلاة جدرانه بلوحات مصوغة بالكانفاه . وجلست بيننا جولستان فى فستان أبيض دقيق الرسم لتكونياتها المثيرة . وقال أنور علام :

ـ الحفل مقصور علينا فأنت مدعو باعتبارك من الأسرة !

فقالت جولستان بنعومة :

ـ لم تعجبنى أخلاق أحد من زملائك سواه !

فشكرتها على حين قال أنور علام ضاحكا :

ـ حقا إن شهادتك فى محلها .

وشربنا الشاى والتهمت قطعة كبيرة من التورتة وراح أنور يقول :

ـ يتحدثون عن مضاعفات فتنة طائفية .

فتساءلت جولستان :

ـ ما معنى ذلك؟

وتساءلت بدورى :

ـ أين الحكومة؟

فقال أنور :

ـ أيام قلق .

فنظرت جولستان نحوى وقالت برثاء :

ـ يا لكم من جيل يستحق الرثاء!

فقلت بامتعاض مكملا :

ـ والتعنيف أيضا .

وقام أنور قائلا :

ـ لدى مكالمات عاجلة ، عن إذنكم دقائق .

فى خلوتنا رنت إلىّ بعطف وتمتمت :

ـ ما يستحق مثلك إلا كل خير . .

تساءلت عما تعنيه؟ . . السياسة أم مأساتى الشخصية؟ ولكن استحوذ علىّ انفعال جنسى من وحى جسمها الناضج . وركزت فيه نظرة مشحونة بصراحة فاضحة . تمنيت شيئا واحدا هو أن أتخذ منها خليلة . وقلت همسا بريق جاف :

ـ أود أن أنفرد بك .

فقالت برزانة :

- أرحب بالانفراد برجل ذى خلق مثلك .

تعطل التيار الكهربائى المتدفق فى صدرى . قالت الكثير وبأقل الكلمات . وئدت أحلامى الطائشة ورحبت فى الوقت نفسه بى . وتماديا فى الإيضاح قالت :

- إنى أحترم نفسى وأرحب بمن يحترم نفسه .

فداريت خيبتى قائلا :

- ما أسعدنى بسماع ذلك .

بيتى يرحب بك فى أى وقت ، لقد عرفت عنك الكثير ولكنك لم تعرف عنى شيئا يستحق الذكر . .

إنه يطالب بالزفاف فى أقرب فرصة ولا أجد عذراً للتأجيل. وتقرر إقامة الاحتفال بفيللا جولستان هانم وتعذر على أبى الحضور. كان حفلا صامتا ولكنه ثرى بالبوفيه الممتاز وبمن شهده من كبار موظفى الشركة ونخبة من رجال الأعمال. وضعت على وجهى قناع سعادة لا ريب فيه والحق أنى دعوت لنفسى طويلا بالتوفيق وصممت عليه، وكانت ورائى رغبة صادقة فى التفاهم والتكيف مع حياتى الجديدة. أخوف ما خفت أن أرى علوان بين المدعوين ولكنه لم يوجد. وقلبى وإن خلا من الميل فإنه لم يتكدر بالنفور. ترى لو كان علوان هو عريس الليلة فماذا كان سيفعل؟ عشت عمرى لا أتصور أنه يمكن أن أهب نفسى لسواه. ها هو الواقع يفرض قرارا آخر. حسبى أننى شعرت بأن أنور يمكن أن يحب ذات يوم، فى هذا الكفاية. ولم تنقطع وفود المهنئين فى الأيام التالية وخاصة من أهلى. ولكن ما شأن هؤلاء الرجال؟ يجيئون حاملين الهدايا، نرحب بهم معا، تقدم لهم الخمور. ليلة بعد أخرى لا ينقطع تيارهم الغث ومنهم مواظبون. ولما أرهقتنى الوجوه الثابتة، والمجاملة المبذولة من ناحيتى عن تأفف عميق قلت له:

- ما أكثر أصدقاءك من رجال الأعمال!

فقال لى بصراحة لافتة للنظر:

- إنهم فى الحقيقة مستقبلنا.

فتساءلت فى حيرة :

- ماذا تعنى؟

- وظيفة مثل وظيفتى لا قيمة لها إلا فى نظر موظف ناشئ، مستقبلنا الحقيقى فى القطاع الخاص، فى المغامرة الذكية التى ترفع الشخص من طبقة إلى طبقة، فلا تقصرى فى الاحتفاء بهم!

إذن فهى زيارات عمل! لم أرتح لذلك، وقلت :

- إنك أفهمتنى أنك واثق من نفسك من الناحية المالية .

فقال بصراحة مكشوفة :

- عن هذا السبيل وحده، عدا ذلك فلا أمان لأحد فى هذا الموج المتصاعد بلا توقف من الغلاء!

نسجت الكآبة حولى غشاء محكما فقال بحماس :

- إذا لم يكون الإنسان ثروة خيالية فى هذه الظروف فلا بارك الله فيه . .

- ألا يكفى ما يوفر لنا معيشة مريحة؟

- مريحة؟! . . نحن فى سباق يا محبوبة لا رحمة فيه . .

ها هو شخص جديد يبرز لى من وراء الشخص الآخر، وبعجلة مذهلة، لا يطيق الصبر ولا يصبر على التدرج ولا يعمل حسابا لأثر رد الفعل فى نفسى . إنه يقول لى بكل بساطة إليك ذاتى بلا قناع ولا لف ولا دوران . فما رأيك؟! إنه لا يرى فى هذه الدنيا إلا طموحه ولا يحفل إلا به، يسدى إليه صلاته مائة مرة فى اليوم، كأنما لا وجود لى إلا من خلال الدور الذى يمكن أن ألعبه فى مخططه المترامى . حتى التمثيل الكاذب لا يتقنه أو لا يبالى به . إنه مفاجأة ومفاجأة صاعقة قذفها السيل من عل، ولا وجود للحب إلا فى لحظته، وسرعان ما شعرت بخيبة أمل لا عزاء فيها، وإننى بعت نفسى بلا مقابل، أو إن الحال أسوأ من ذلك .

وإننى أخجل من إعلان خيبتى كنت أتوهم أننى على الأقل غاية فإذا بى وسيلة لا قيمة لها إلا بما تؤديه. وظيفتى هنا أن أجامل وأسامر وأقدم الشراب. ولم يقنع بذلك كله فأخبرنى أنه لا يستطيع أن يؤجل أعماله المسائية أكثر من ذلك وأنه سيعهد إلى وحدى بمهمة الضيافة والاستقبال، قال ضاحكا:

- إنها امتداد لعملك فى العلاقات العامة.

فقلت معترضة:

- ولكن لا شيء مشترك بينى وبينهم..

- لا أهمية لذلك، حسبك أنك لبقة وذكية ومثقفة، ونحن شريكان، والشريك ينوب عن شريكه خاصة فيما يعود عليهما فى النهاية بالخير..

فقلت بحدة، أول حدة تنتاب شهر العسل فى إبانه:

- لغة سوق ما تصورت أننى سأتعامل معها!

فقال باسما:

- خير البر عاجله.

ووخزتنى سخريته فشعرت بأن تجربتى تتهاوى فى جرف الفشل. ووجدت نفسى وحيدة وسط رجال يشربون ويقهقهون، ويتوثبون لاختراق الحدود. وصكت أذنى نكتة وقحة فاقتحمتنى موجة هادرة من الاستياء والغضب، وقلت ببرود:

- حسبكم!

فنظروا إلىّ واجمين فقلت بخشونة:

- كفاكم شربا!

فتساءل أحدهم:

ـ هل تجاوزنا حدود الأدب؟

فقلت دون مبالاة:

ـ أظن ذلك!

ـ لعلها إشارة للانصراف؟

فقلت متمادية فى الغضب:

ـ دون مناقشة!

وانتظرت وأنا على أسوأ حال أدور مع الهواجس وتدور معى. ولما رجع حوالى منتصف الليل غاض البشر من وجهه حال وقوع عينيه علىّ.

تساءل:

ـ خير؟!

ـ لا خير ألبتة، إنه بيت وليس بخمارة..

ـ ماذا حصل؟

ـ باختصار طردتهم وافهم ما تشاء..

انحط على المقعد أمامى صامتا، ثم تمتم بعد صمت:

ـ انهار بناء شامخ.

فصمت بحدة:

ـ فوق رءوس مجموعة من السفلة..

ـ خيبة أمل..

فسألته بغضب شديد:

ـ ألا تريد أن تفهم؟

فقال بهدوء شديد مثير:

ـ حسبتك أوسع إدراكا..

فصمت :

ـ الحق إنى لا أفهمك، أنت شخص غريب . .

فقال بهدوئه المثير :

ـ المسألة سوء تفاهم .

ـ سوء تفاهم؟!

ـ أعنى سوء تقدير من ناحيتى . .

فصرخت :

ـ يبدو لى أنك إنسان وضيع!

فدعانى إلى تمالك نفسى بإشارة من يده وقال :

ـ لا . . لا . . لا داعى لفتح هذا القاموس، أنا عشت دهرا لم أعرف الغضب .

ـ إنها شهادة ضدك . .

ـ هدئى خاطرك، حصل خطأ، وبيدنا تصحيحه . .

فقلت بتصميم :

ـ إنى ذاهبة .

ـ ولم العجلة؟ انتظرى الصباح . .

ـ لن أبقى فى هذا البيت لحظة أخرى .

فقال بتسليم :

ـ لك ما تشائين، ولا داعى للغضب . .

محتشمى زايد

﴿إنه لا يحب الظالمين﴾ . ما هذا القرار أيها الرجل؟! تعلن ثورة فى ١٥ مايو ثم تصفيها فى ٥ سبتمبر؟ تزج فى السجن بالمصريين جميعا من مسلمين وأقباط رجال أحزاب ورجال فكر؟ لم يعد فى ميدان الحرية إلا الانتهازيون فلك الرحمة يا مصر . ﴿ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ . وأذكر يوم حددت إقامة سعد زغلول فى بيت الأمة فزحف الانتهازيون بالولاء الزائف نحو القصر، لماذا تعيد تمثيل تلك المسرحية القديمة من ريبوتوار المآسى المصرية؟ وأذكر عهود الاستبداد بسوادها الكالح أفكانت ثورة ١٩١٩ حلما أم أسطورة؟! «ليس الشديد بالصرعة . . إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب» . ترى ماذا تخبئ أيها الغد؟ أما عن أمسى فقد فقدت أقدم وآخر صديق . صداقة دامت خمسة وسبعين عاما . يوم تعارفنا على عتبة المدرسة الأولية . لولا الشيخوخة وسوء المواصلات . . آه . صممت على تشييع الجنازة . رحلة شاقة كرحلة الحاج وتوكأت على علوان . فى دار المناسبات استعرضت فيلم العمر الثرى : المدرسة ، الشارع . . المقهى . . الحانة . . لجان الطلبة . . ليالى الزفاف . . أعياد الميلاد . الوجه ها هو . . الابتسامة ها هى . . هل سمعت آخر نكتة؟ . . والشكوى من الدهر . . أنتفق فى كل شىء ونختلف فى الأهلى والزمالك؟ عليك بقدح ماء على الريق . . ولا تنس دواء الذاكرة . فاتنى أن أسمع تعليقك على ٥ سبتمبر

ولكننى أعرفه. وبدأت التلاوة. ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ سرعان ما جاء الموت بابتسامته المراوغة وجلس إلى جانبى. لا تتعجل فلم تبق إلا خطوة. موت صديقى القديم بروفة لموتى. أرى كل شىء، الغسل والدفن والمشيعين. وأقرأ النعى، محتشمى زايد من رجال التربية القدامى وشباب الحركة الوطنية. هل تذكره؟ ظننته مات من زمان. ويجىء النسيان متثائبا ولكنى أسلم بمنتهى الرضا. حقا إنه عمر طويل ولكنه يبدو الساعة كلحظة عابرة. الحب والعنف والغضب والأمل ألا ما أكثر الراحلين! لا فرق الآن بين أن تكون أنت فى النعش وأنا ماش وراءك أو العكس. وحيانى ابنه بحرارة وقال لى فى احتضاره حملنى التحية إليك..

وفى المساء عاتبنى ابنى فواز قائلا:

- فى سنك يعفى الإنسان من أمثال هذه الواجبات.

أما هناء فقالت:

- اشتريت اليوم كتابا لا يقدر بثمن هو «كيف تصلح أجهزتك المنزلية»، فلعله يحررنا من السباك والكهربائى.

وعند ذاك تساءل علوان:

- ألا يوجد كتاب يحررنا من الحكام؟

فقال فواز:

- لا حديث للناس إلا اعتقال الذين اعتقلوا..

فعاد علوان يقول بعصبية:

- أستاذتى علياء فى السجن وصديقى محمود المحروقى أيضا!

فقلت ملاطفا:

- ثمة وعد بمحاكمة سريعة حتى لا يضار برىء.

- أمازلت تصدق الأكاذيب يا جدى؟

ما أنقذه من القضبان إلا حيرته والويل للمنتمين.

ولما خلا لنا المكان قلت له:

- أمل أن تتغلب على أزمتك بما عهده فيك من شجاعة!

فقال ساخرا:

- المصائب تقل حدتها بالتكاثر فتنكسر النصال على النصال.. وأغلق التلفزيون ورجع إلى مجلسه إلى جانبى وهو يقول:

- جدى، لا أحب أن أخفى عنك سرا..

أصغيت إليه مستطلعا باهتمامُ فقال:

- توجد قرائن قوية على دعوة موجهة لى للزواج من شقيقة أنور علام زوج رندة..

- حقا! إلىّ بمزيد من المعلومات..

- هى أرملة تكبرنى بعشرين عاما، غنية جدا..

- والشكل؟!

- ليس كما تظن، مقبولة ومحترمة أيضا.

فلذت بصمت ثقيل فسألنى:

- ما رأيك يا جدى؟

فقلت من مأزقى:

- إنه قرار خاص جدا يحسن ألا يشاركك فيه أحد.

- ولكننى مصمم على معرفة رأيك.

- هل تحبها؟

- كلا، ولكننى لا أكرهها..

- لا أدرى ماذا أقول..

- يوجد ما يقال..

ـ لا حق لى فى تشكيل مصيرها، إنى أنتمى إلى عالم آخر وليس من الحكمة أن يستبد عالم بعالم آخر.

ـ ولكنك لم تعودنى الهرب..

فصمت قليلا ثم قلت:

ـ للمشروع مزايا لا يستهان بها وعيوب لا يستهان بها أيضا، وفى مثل حالك ترجح مزاياه بعيوبه!

فابتسم ابتسامة غامضة وقال بحدة:

ـ إنى أرفض أن أبيع نفسى!

فجرى ماء الراحة فى أعماقى الملتهبة ولكنى سألته:

ـ هل اتخذت قرارك مع التفكير اللازم؟

ـ وأكثر من اللازم.

فقلت بحرارة:

ـ أسال الله أن يعوضك خيرا.

وقلت لنفسى «كراماتك يا سيدى الحنفى!».

و أنا أهم بالذهاب قال لى جدى :

- أما عرفت يا علوان؟

فرمقته متسائلا فقال :

- رندة طلقت!

غمرتنى موجة عالية من الذهول والخوف والارتياح وهتفت :

- ما زالت فى شهر العسل!

- والدتك أنبأتنى به فى هذا الصباح .

- كيف يمكن أن يحدث هذا؟

- عندما تتعذر المعاشرة . .

ثم وهو يودعنى :

- أردت أن أنبهك حتى لا تفاجأ به هناك .

غصت فى انفعالاتى طيلة الطريق . لم أر إلا حزنى وفرحتى التى ضقت بها . ورأيت رندة مستكنة فى غشاوة كآبتها كما رأيت ظل الكآبة منتشرا فى المكتب كله . صافحتها وأنا أقول :

- إنى . . .

فقاطعتنى :

- شكرا .

فقلت بصدق :

ـ إنك لا تستحقين ذلك .

فقالت بهدوء :

ـ أكرر الشكر ولا داعى للمزيد .

وتطايرت الأقاويل بعيدا عن مسمعها فسمعت الأعاجيب . واضح أنه فشل كما يحدث للكثيرين ممن يتزوجون فى سن متأخرة، لا . . لا . . إنه شاذ . . تأملوا حركات يديه، بل العلة فى برودها فالجمال الظاهر ليس كل شىء، يقال أيضا إنه توجد علاقة آثمة بينه وبين أخته، سمعت وتألمت . إنى أحبك يا رندة كما كنت وأكثر، يحزننى أن أجدك فى موقف منهزم، قلبى مع كبريائك الجريح . وخيل إلى أننى قد أقترب من السر عند أنور نفسه . أعلنت له أسفى فحدجنى بنظرة ساخرة .

وتمتم :

ـ شكرا !

أدركت من توى أنه يشك فى صدقى فقلت :

ـ آسف لكما معا .

فقال ببرود :

ـ لا شىء يوجب الأسف .

وعبر إلى الأوراق المعروضة دون زيادة . ودعتنى جولستان هانم لزيارتها فلبيت دون تردد وأنا على شبه يقين من أننى سأعرف عندها الحقيقة . وجدتها متحلية كعروس وقالت لى معاتبة :

ـ ألا تزورنى إلا إذا دعوتك؟

ـ أخاف أن أحرجك .

ـ عذر لا معنى له وأنت أول من يدرك ذلك .

قدمت لى دندرمة محشوة بالمكسرات ثم قالت :

ـ عنت لى فكرة .

فنظرت نحوها باهتمام فقالت :

ـ أخى بدأ ينشغل بنفسه عنى فهل تعمل أنت وكيلا لأعمالى؟

تبدى لى الاقتراح مثل هاوية تنداح تحت قدمى فقلت :

ـ قد يغضبه ذلك!

ـ وهو صاحب الفكرة!

فقلت متحرجا :

ـ أمهلينى كى أفكر فقد عرض على بعضهم أن ألتحق بقسم الماجستير .

ـ العمل بسيط ولكنه يحتاج إلى شخص أمين .

ـ ستكون المهلة قصيرة جدا . .

وإذا بها تتطوع لإطلاعى على جانب هام من ماضيها ، قالت :

ـ طالما رميت بالجشع بسبب زواجى ، والحقيقة أن أبى هو الذى زوجنى من رجل يكبرنى بثلاثين عاما ، على ذاك مضت حياتى معه مكللة بالاستقامة والأمانة ، وكانت وما زالت سمعتى أنقى من الماس .

فقلت بيأس لم تفطن إليه :

ـ إنك مثال للاحترام .

ثم فى مراوغة :

ـ أنور بك رجل محترم أيضا ولكن تأملى سوء حظه . .

فرمتنى بنظرة متوجسة وسألتنى :

ـ أترثى له أم لزوجته؟

فقلت متحديا :

ـ ما مضى قد مضى وانقضى!

ـ حقا؟!

ـ هى الحقيقة بكل بساطة .

ـ إذن دعنا من هموم الآخرين ولننته لهمومنا!

فانحصرت فى ركن لا أدرى ماذا أقول فقالت بصراحة ذكرتنى بأخيها :

ـ أنت فاهم وأنا فاهمة . .

ثم بشىء من التأثر :

ـ من حقى أن أسعى إلى سعادتى طالما أن كرامتى مصونة .

فقلت حتى لا ألزم الصمت أكثر مما يحتمل :

ـ إنى أحترم هذا المنطق السديد . .

فقالت بعذوبة :

ـ لن تندم . وإنى منتظرة .

رندة سليمان مبارك

ست أعين تدور فى فلك الحيرة. عيناى فى عينى أمى، عيناى فى عينى أبى، عينا أمى فى عينى أبى، أعيننا جميعا تتنافر هاربة. فى تلك الساعة من الليل ذهلت أمى لمرآى. شحب لون وجهها عاكسا لون وجهى. همست وأبى يغط فى نومه تحت الملاءة الأرجوانية.

- رندة. . ماذا وراءك؟

وقفنا فى وسط الصالة وأفرغت ما فى صدرى دفعة واحدة.

- إنه الطلاق!

وصببت عليها الحكاية بتفاصيلها. وعلم أبى بها بعد الفطور صباحا على درجات. قلت له:

- لا يمكن أن نتفق. .

وراحت أمى لتتحدث عن الزوار والخمر. احتقن وجهه بالغضب فقلت له:

- لا تحمل صحتك فوق طاقتها.

فقال بحنق:

- فهمت كل شىء. لو بى قدرة لأدبته.

- لا ضرورة لذلك، كان صريحا وسرعان ما اعترف بفشله.

- كيف غابت عنك حقيقته؟

ـ لكل أسراره ولا أنكر أننى خدعت.

ـ يستحسن أن نستشير محاميا.

فقلت بإشفاق:

ـ هو أقصر سبيل لنشر الفضيحة، ومن ناحية أخرى فقد سلم لى بكافة حقوقى دون أدنى اعتراض.

ـ قد يغرى هذا الطلاق السريع ألسنة السوء بك؟

ـ إنى واثقة من نفسى وسرعان ما ينسى كل شىء.

ورغم أن أحداً من الزملاء لم يكدر صفوى فقد شعرت طيلة الوقت بجو محموم بالتساؤلات المكتومة.

خاصة من ناحية علوان الذى بلغ غضبى منه مداه. ومرة همس لى ونحن منفردان:

ـ إنى حزين جدا.

فسألته ببرود:

ـ لماذا؟

ـ لعله الشعور بالذنب.

ـ لاشأن لك بما كان.

فتحول عنى بعينه وهو يقول:

ـ ما زلت أحبك.

فقلت بحدة:

ـ لا أريد سماع هذه الكلمة من فضلك!

وبمرور الوقت ضقت بكل شىء وحتى بغضبى ضقت.. ورجعت أنظر إليه كما أنظر إلى نفسى برثاء. بل وجدت شيئا من خلو البال فتساءلت: ترى كيف تسير الأمور بينه وبين جولستان؟ هل يتزوج منها

يوما ما؟ أى غرابة فى ذلك ربما كانت المرأة خيرا من أختها. لم أجد بها ما يسوء. وهى تريده ما فى ذلك من شك. اللعنة.. إنها تحبه. من كان يتصور أننا نفترق؟ من كان يتصور أن الآمال الكبار يمكن أن تتلاشى كقبضة من غبار؟ وهمس لى عند ميعاد الانصراف يوما:

ـ أشعر بدافع قوى لتبادل الرأى!

صمت صمت القبور لرغبتى الشديدة فى الحديث.

وذهبنا إلى استراحة الهرم فتناولنا بعض السندوتشات مع الشاى ورحنا نتبادل النظر فى بلاهة. سألنى:

ـ هل لديك خطة؟

فقلت ببساطة:

ـ أعيش بلا خطة ولا أحلام وهو غاية الراحة.

ـ وأنا أيضا ولكن جدى يقول إنه ما بين غمضة عين و...

قاطعته:

ـ دعنا من جدك وأمثاله فهى لا تصلح لنا، متى تتزوج من جولستان؟

فقطب متسائلا:

ـ من قال ذلك؟

ـ مجرد سؤال.

ـ أنا لا أبيع نفسى.

ـ إذن ترى أننى بعت نفسى؟

فقال بسرعة:

ـ كلا، الأمر مختلف، لا غرابة فى أن تتزوج فتاة من رجل يكبرها أما العكس..

وتصفح وجهى بقوة ثم سألنى:

ـ ما أسباب الفشل فى زواجك؟

بى رغبة حقيقية للاعتراف له بالحقيقة . وهو دون الآخرين .

ـ تعدنى بألا تبوح بالسر لإنسان؟

ـ أعد بشرفى .

وأفرجت عن المآساة الحبيسة فى ضلوعى ، حتى هتف :

ـ الوغد!

ـ انتهى وقت الغضب فلا تنس وعدك .

ـ فاق أى خيال .

ـ ليس أعجب مما سمعنا فى حياتنا . .

محتشمى زايد

أرى فى أحلامى أبى وأمى وأختى محاسن . . ورأيتهم مرة فى منطاد يحلق فوق رأسى، ترى هل أزف الرحيل؟ هل آن للعجوز أن يعفى الدولة من صرف معاشه؟ الصحة جيدة رغم عين الحسود سليمان مبارك، ولكن الصحة مهلكة مثل المرض. كفى بالصحة داء، صدق رسول الله. عبدك منتظر يا رب، يتوقع بين آونة وأخرى أن يدق الجرس وسوف يستقبل الطارق بما يليق به من طاعة وترحاب. حسن الختام يا رب، جنبنى الأوجاع والعجز وشكرا على حياة طويلة عريضة. حسبى أنى لم أقدم أذى لإنسان فى هذا العالم الحافل بالأذى. والشيخوخة قضيتها جوالا بين كلماتك وأنبيائك وأوليائك، وقبل ذلك كابدتها فى دنياك ونعمائك. رياضتى العبادة وتسليتى الطرب وسرورى الطعام الحلال. ها هو العيد يطل علينا متوجا بأنداء الخريف. نهر من السحب البيضاء يتدفق فوق النيل الأسمر والأشجار الباسقة دائمة الخضرة. أيام قلائل نادرة فى حياة هذه الأسرة الممزقة. فواز يملأ جلبابه فى استرخاء، وهناء تمشط شعرها الأبيض، علوان يحلق ذقنه تأهبا للانطلاق. قلت بسرور وأنا أتصفحهم حولى:

ـ أخيرا نجتمع كأسرة يا أولاد!

فقال فواز بصوته الجهير:

ـ نقطة راحة فى بحر من التعب.

ـ لو كانت الدنيا غير الدنيا لخرجنا إلى القناطر .

ـ فكرة غير صالحة للعصر أو قل إنها جنونية .

قالت هناء ضاحكة :

ـ نأكل وننام، هذا ما تبقى لنا من العيد .

ـ وأنت يا علوان؟

ـ إلى المقهى على الأقدام!

فقال فواز باسما :

ـ ثرثرة كالعادة!

فقلت :

ـ وعيد آخر اتفقت دورته مع العيد، عيد النصر .

فقال علوان ساخرا :

ـ النصر والسجن .

فقلت بنشوة غازية :

ـ لا دوام لحال، الجديد أيضا آت لا ريب فيه .

ـ حقا؟! . . يحيا الصبر والانتظار!

فقال فواز حالما :

ـ مفاجأة بترولية أو اكتشاف نهر مغمور فى الصحراء!

فقال علوان :

ـ أو اندلاع ثورة .

فتساءل فواز :

ـ هل تعنى الثورة إلا مزيدا من الخراب؟

فقال علوان متهكما :

ـ ضربوا الأعور على عينه!

يتحدثون عن الثورة بلا معرفة . لم يسمعوا عنها . حكى لهم الراوى المأجور حكاية زائفة كاذبة . يبدأ المدرس المغلوب على أمره درسه بالسؤال الخائن «لماذا فشلت ثورة ١٩١٩؟» . يا أبناء الأبالسة ألا توجد قطرة حياء؟ يا زبانية المعتقلات وعباد نيرون . ها هو علوان يلوح بيده ويذهب . يذهب حاملا خيبة فرد وجيل معا . وفتحت هناء التلفزيون قائلة :

ـ نشاهد الحفل .

المنظر العام ثرى يوحى بالفرح الشامل . قدوم الرئيس فى هالة لألاءة كليلة القدر . عليه بزة القيادة . وبيده صولجان الملك . وتتابعت الصفوف والأعلام . قالت هناء ببراءة :

ـ شد ما هو معجب بنفسه . .

فقلت :

اليوم يومه .

فقال فواز :

ـ إنه لسعيد ، وهو حقيق بذلك . .

ثم مستدركا فى أسى :

ـ خسر الكثير منذ ٥ سبتمبر .

عرض فوق الأرض وعرض فى السماء ، منظر نادر لا يتكرر . قلت بصوت من الماضى :

ـ لم نكن نرى الجيش إلا يوم المحمل .

ـ انظر يا أبى . هذا عالم آخر .

وقالت هناء ضاحكة :

ـ وجه مورد كأنه مطلى بروج .

وتمر الفيالق ويمر الوقت، ويزحف على الكسل وشيء من النعاس. وأصحو فى لحظة غريبة من الزمان. قرص التاريخ أذنى، والدهر قال لى هكذا وقعت الأحداث التى قرأتها فى صحف التاريخ بانتباه عابر. ها هى تقع فى حجرة المعيشة. تضطرب الشاشة الصغيرة وتتميع، وتنقض حركة غير عادية، وتنطلق أصوات، ثم يدهمنا الاختفاء.

ـ هل حصل شيء فى التلفزيون يا فواز؟

ـ ليس فى الجهاز.. لا أدرى ماذا حصل..

وقالت هناء بقلق:

ـ شيء غير عادى.. قلبى غير مطمئن..

فقال فواز:

ـ ولا أنا..

تساءلت:

ـ هل..؟!

قال فواز:

ـ الله أعلم يا بابا، عما قليل سنعرف كل شيء..

وقلت من قلبى:

ـ اللهم حوالينا، لا علينا..

علوان فواز محتشمي

ليكن عيد ولننس همومنا ولو ساعة واحدة. ولكن كيف والباب له مائة مفتاح؟ ماذا يقول لى النيل؟ وماذا يقول الشجر؟اسمع جيدا، إنها تقول، يا علوان يا فقير يا عائشا بين الأسوار، رندة تعود إليك تحت مظلة الصداقة والحوار، فى ظل حب غير معلن يقوم على أرضية مستندة إلى عمودين من الصلب واليأس تظلها أحلام غامضة. لا مطاردة من الأهل ولا أمل ولا يأس. امش مشية عسكرية سريعة فهذا يوم الجنود. وها هو المقهى مكتظ بعلماء الكلام. هنا ينعدم الرضا والفعل. بيننا مائدة عليها ترانزستور تطوع أحدهم بإحضاره. كما فعل يوم أذاع علينا الرئيس الراحل هزيمته عقب ٥ يونيو. أول ما سمعت قائلا يقول:

- الرئيس الراحل فى هزيمته أعظم من هذا فى نصره.

هذا يذكرنى برأى أدلى به جدى مرة، قال لى:

- نحن قوم نرتاح للهزيمة أكثر من النصر، فمن طول الهزائم وكثرتها ترسبت نغمة الأسى فى أعماقنا، فأحببنا الغناء الشجي والمسرحية المفجعة والبطل الشهيد، جميع زعمائنا شهداء: مصطفى كامل شهيد الجهاد والمرض، محمد فريد شهيد المنفى، سعد زغلول شهيد النفى أيضا، مصطفى النحاس شهيد الاضطهاد، جمال شهيد ٥ يونيو، أما هذا المنتصر المعجبانى فقد شذ عن القاعدة، تحدانا بنصره، ألقى فى قلوبنا أحاسيس وعواطف جديدة لم نتهيأ

لها، وطالبنا بتغيير النغمة التى ألفناها جيلا بعد جيل، فاستحق منا اللعنة والحقد، ثم غالى بالنصر لنفسه تاركا لنا بانفتاحه الفقر والفساد، هذه هى العقدة.

وغرقنا فى دوامة الحوار الأرعن والترانزستور يذيع تفاصيل عيد النصر لمن يسمع حولنا من رواد المقهى. وسرقنا الوقت كالعادة حتى انتبهنا على أصوات غريبة وصوت المذيع و هو يصرخ:

- الخونة.. الخونة..

- شلت الألسنة وزاغت الأبصار. تلاصقت الرءوس فوق الترانزستور ولكنه انقطع عن متابعة الحفل وراح يذيع بعض الأغانى.

- ماذا حدث؟

- شىء غير عادى.

- قال.. الخونة.. الخونة.. الخونة..

- اعتداء!

- على من؟

- سؤال سخيف حقا..

- الأغانى المذاعة تدل..

- متى كان للمنطق أهمية؟

- شيئا من الصبر!

ماتت أى رغبة فى العودة إلى البيت. تلاصقنا بشعور دعانا إلى البقاء معا أمام المجهول.

تناولنا غداء موجزا من المكرونة وانتظرنا. وبعد وقت عنيف أعلن المذيع أنه حصلت محاولة للاعتداء فاشلة وأن الرئيس غادر الحفل وأن قوات الأمن مسيطرة على الموقف تماما، وانطلقت الأغانى من جديد.

- ها هى الحقيقة.

- الحقيقة؟

- فكر قليلا.

- بعض الحقائق لا يمكن إخفاؤها.

- ولكن يمكن تأجيلها.

- من المعتدون؟

- من غير التيار الدينى!

- لكنه يجلس بين الجنود والحرس.

- انتبهوا.. بدأت إذاعة الأناشيد الوطنية..

وإذا بإذاعة جديدة تعلن عن إصابة طفيفة للرئيس وأنه يلقى العناية الكاملة فى المستشفى. قلوبنا ترقص فى مد الاحتمالات المتصاعد. الزمن توقف وغير لونه ثم أطل علينا بوجه جديد.

- أصيب الرجل، ماذا بعد؟

- استعدوا للسجن.

- عودة مؤكدة للإرهاب.

- سينجو وينتقم.

- هل نسمع القرآن بعد الأناشيد؟!

وتحملنا الوقت على ثقله حتى صحت النكتة وبدأت التلاوة. بهتنا أول الأمر. إنه اليقين. يا للذهول! حقا؟! انتهى الرجل؟.. من كان يتصور؟ لماذا نؤمن أحيانا بأنه يوجد مستحيل. لماذا نتصور أنه لا توجد حقيقة فى هذه الدنيا سوى الموت؟ الموت هو. الموت هو الدكتاتور الحقيقى. ويجىء البيان الرسمى كالجملة الختامية. ترى ماذا يقول الناس؟ أريد أن أسمع ما يقال حولنا فى المقهى. وتحركت مرهف

السمع. لا حول ولا قوة إلا بالله. هو وحده الدائم. البلد يواجه خطرا لا يستهان به. لا يستحق هذه النهاية مهما قيل عن أخطائه.. فى يوم نصره؟ مؤامرة.. توجد مؤامرة محكمة ولاشك. فى داهية.. الموت أنقذه من الجنون. على أى حال كان يجب أن يذهب. هذا جزاء من يتصور أن البلد جثة هامدة. بل هى مؤامرة خارجية. لا يستحق هذه النهاية. إنها نهاية محتومة. كان لعنة. من قتل يقتل ولو بعد حين. فى لحظة انهارت إمبراطورية. إمبراطورية اللصوص فيم تفكر العصابة الآن. عدت إلى مجلسى تمزقنى انفعالات متضاربة من الأسى والخوف والسرور. وأفعمنى ترحيب غامض باحتمالات مجهولة واعدة بتحطيم الجمود والروتين والانطلاق نحو آفاق غير محدودة. ليكن الغد ما يكون أسوأ من اليوم. حتى الفوضى خير من اليأس ومقاتلة الأشباح خير من الخوف. هذه الضربة زلزلت عرشا واخترقت حصونا. ومع المساء همت على وجهى. أرهقنى الكلام. ما أرغبنى فى المشى. على كل عابر أرى أثرا من الموت. وأجدنى فجأة أمام فيللا جولستان وأرى سيارة أنور علام واقفة تنتظر صاحبها. تتفجر فى داخلى كل شهوة للجنس وكل نزوع القتال..

يا للفظاعة! ألا توجد وسيلة إلا القتل؟ وما ذنب زوجته وبناته؟ لست من أنصاره ولكنه لا يستحق هذه النهاية. إنه يعيدنى إلى المشكلات العامة بعد طول انغماس فى مشكلاتى الخاصة. القتل كريه والله لا يحبه. أمى بكت كإنسان لم تغيره السياسة. وجمت حجرة المعيشة أكثر من وجومها المألوف فى تلك الأيام. سألت أبى عن رأيه فقال:

ـ هيهات أن يرد رأى الحياة لميت.

ورنا إلىّ مليا بعينيه الذابلتين، ثم واصل:

ـ البلد مريض بالتعصب يا رندة، أين أيام «لماذا أنا ملحد؟» يريدون أن يرجعونا أربعة عشر قرنا إلى الوراء.

وصمت قليلا ثم قال:

ـ أنا عارف أنك لا توافقين على رأيى كله فافعلوا بزمانكم وليفعل بكم ما يشاء ولكننا متفقان على رفض القتل..

إنه الخط الأدنى الذى نقف عليه معا. ترى أين أنت ياعلوان؟ إنك لا تحبه فهل سررت بنهايته؟ وعلى غير توقع اقتحم علوان شقتنا بعد طول انقطاع وبجرأة دلت على قوة دوافعه. وسرعان ما انفردنا بأنفسنا فى الصالة على كرسيين متجاورين حول السفرة. وسألته:

ـ أين كنت وقتها؟

فقال باضطراب أفزعنى :

ـ دعينا من ذلك فما من جديد يقال، رندة أصغى إلىّ جيدا . .

ـ ماذا عندك؟

ـ وجدتنى مساء اليوم أمام فيللا جولستان وسيارة أنور علام المنتظرة . ودون دعوة ولا تدبير سابق اندفعت إلى الداخل، كان هو أول من رأيت فهتفت مرحبا «أهلا» رب صدفة خير من ميعاد، وإذا بى أصيح مفقود الرشد «يا قذر!» ولكمته فى صدره بقوة فترنح وهوى إلى الأرض، وهنا نبهتنى صرخة جولستان إلى وجودها، قالت لى بحزم: «كف عن همجيتك» وساعدته على القيام وهو يلهث فمضت به إلى حجرة نومها . تسمرت فى موقفى غائب الوعى تقريبا . وغابت هى ربع ساعة ثم رجعت شاحبة اللون ذاهلة النظرة وغمغمت :

ـ ماذا فعلت يا مجنون؟! . . لقد قتلته!

حملقت فى وجهها دون أن أنبس . اغرورقت عيناها وتمتمت :

ـ ماذا فعلت يا مجنون؟! . . لماذا قتلته؟

وانحطت إعياء على مقعد مسندة رأسها إلى راحتها على حين مضيت أسترد وعيى وأدرك أبعاد فعلى . وأخيرا قلت :

ـ استدعى الشرطة، إنه قدرى . .

لم تند عنها حركة ورغبت بكل قوتى فى التخلص من الموقف فقلت :

ـ سأذهب بنفسى إلى الشرطة . .

فأشارت بيدها إشارة غامضة وهمست :

ـ اقعد حيث أنت .

ومر الوقت على أعصابى ثقيلا مثل وابور الزلط فقلت :

ـ لا معنى للانتظار .

فهمست :

ـ انتظر .

وأحنت رأسها تخفى عينيها عنى وهمست :

ـ كان يشكو تعبا مزمنا فى قلبه!

فيم تفكر؟ ساورنى شك عاكس لنور خاطف من أمل مذبذب .

ـ ولكنى أنا الذى . . .

فقالت بهدوء دل على أن رأسها المضطرب شرع يفكر :

ـ لا أثر للضرب .

بهذه العبارة تورطت كشريكة فى الجريمة . تفرست فى وجهها بذهول وأنا أعجب لطبيعة الشخص التى قد تظل خافية فى الظروف العادية إلى الأبد . أى امرأة! ولكن فرحتى بطوق النجاة كانت فرحة غريق يائس . قلت :

ـ لن يخفى شىء على الطبيب .

فقالت بثقة :

ـ لا شأن لك بهذا .

وتبادلنا نظرة فاضحة لكلينا وقالت :

ـ طبعا أنت فاهم لماذا أعمل على إنقاذك؟

فأحنيت رأسى ممتنا وأنا لا أصدق فسألتنى :

ـ هل أثق فى شرفك؟

. . وتعهدت بشرفى . .

ولما انتهى سألته وأنا من اليأس فى نهاية :

ـ لماذا تبوح لى بسرك؟

ـ لاسر بيننا يا رندة .

فقلت بمرارة :

ـ لقد ارتكبت جريمتك غضبا لى، وأنت تستحق النجاة.

ـ أهذا رأيك؟

ـ طبعا لا يمكن أن أشير عليك بالموت.

فقال بانفعال:

ـ فى الحقيقة إننى لم أقل كل ما عندى، فما غادرت الفيللا حتى احتقرت نفسى وكرهت القرار الذى اتخذته، وفى حيرتى قصدتك لأعترف بكل شىء..

فقلت له بإشفاق:

ـ إنى مدركة تماما لمشاعرك ولكنى لا ألومك على قرارك!

فقال بعناد خفق له قلبى:

ـ ولكنى أرفض.

ـ هذا هو الجنون.

ـ ليكن.

فقلت متوسلة بحرارة:

ـ المعجزة لن تتكرر.

ـ ليكن.

ـ لا وقت للندم.

ـ لن أندم أبدا.

ـ إنى بريئة مما تفكر فيه.

فقام وهو يقول:

ـ سأرجع إليها لأصارحها بكل شىء.

ـ لا أوافق.

فقال وهو يمضى:

ـ وأنا مصمم..

محتشمي زايد

بعد اختفاء علوان أغرق في وحدة مطلقة. حزني عميق وحزن أبويه لا قرار له، أما العالم حولنا فيشرئب إلى أمل جديد، ورندة أي شجاعة ساقتها إلى المحكمة لتدافع عن الشاب بحيائها وكرامتها. وكان من حسن الحظ أن تشخص الجريمة كضرب أفضى إلى موت. أعوام تمر ثم يغادر السجن صاحب حرفة يكون بها أقدر على تحديات الحياة وتحقيق آماله. لا أحسبني أراه مرة أخرى، سيجد حجرتي خالية فيمكنه أن يتزوج حبيبته فيها. ترى هل بقيت أكثر مما يجوز وهل لعبت دورا وأنا لا أدري في تعقيد مشكلته؟!

آن لي أن أنضم إلى فريق المسبحين المتطلعين إلى الأبدية في رحاب ذي الجلال.

(تمت)

أعمال نجيب محفوظ

١ -	مصر القديمة	ترجمـــة	١٩٣٢
٢ -	همس الجنون	مجموعة قصصية	١٩٣٨
٣ -	عبث الأقدار	رواية تاريخية	١٩٣٩
٤ -	رادوبيـــس	رواية تاريخية	١٩٤٣
٥ -	كفاح طيبة	رواية تاريخية	١٩٤٤
٦ -	القاهرة الجديدة	روايــــة	١٩٤٥
٧ -	خان الخليلى	روايــــة	١٩٤٦
٨ -	زقاق المدق	روايــــة	١٩٤٧
٩ -	الســـــراب	روايــــة	١٩٤٨
١٠ -	بداية ونهاية	روايــــة	١٩٤٩
١١ -	بين القصرين	روايــــة	١٩٥٦
١٢ -	قصر الشوق	روايــــة	١٩٥٧
١٣ -	الســــكرية	روايــــة	١٩٥٧
١٤ -	اللص والكلاب	روايــــة	١٩٦١
١٥ -	السمان والخريف	روايــــة	١٩٦٢
١٦ -	دنيـــا اللـــه	مجموعة قصصية	١٩٦٢
١٧ -	الطـــريق	روايــــة	١٩٦٤

١٨ـ	بيت سيئ السمعة	مجموعة قصصية	١٩٦٥
١٩ـ	الشـــحاذ	روايـــة	١٩٦٥
٢٠ـ	ثرثرة فوق النيل	روايـــة	١٩٦٦
٢١ـ	ميــرامـــار	روايـــة	١٩٦٧
٢٢ـ	أولاد حارتنا	روايـــة	١٩٦٧
٢٣ـ	خمارة القط الأسود	مجموعة قصصية	١٩٦٩
٢٤ـ	تحـــت المظـــلة	مجموعة قصصية	١٩٦٩
٢٥ـ	حكاية بلا بداية ولا نهاية	مجموعة قصصية	١٩٧١
٢٦ـ	شــهر العســـل	مجموعة قصصية	١٩٧١
٢٧ـ	المـــــرايا	روايـــة	١٩٧٢
٢٨ـ	الحب تحت المطر	روايـــة	١٩٧٣
٢٩ـ	الجــــريمـــة	مجموعة قصصية	١٩٧٣
٣٠ـ	الكـــرنـك	روايـــة	١٩٧٤
٣١ـ	حكايات حارتنا	روايـــة	١٩٧٥
٣٢ـ	قــلب الليـــل	روايـــة	١٩٧٥
٣٣ـ	حضرة المحترم	روايـــة	١٩٧٥
٣٤ـ	الحـــرافيـش	روايـــة	١٩٧٧
٣٥ـ	الحب فوق هضبة الهرم	مجموعة قصصية	١٩٧٩
٣٦ـ	الشيطان يعظ	مجموعة قصصية	١٩٧٩
٣٧ـ	عصــر الحــب	روايـــة	١٩٨٠
٣٨ـ	أفــراح القبــة	روايـــة	١٩٨١
٣٩ـ	ليالى ألف ليلة	روايـــة	١٩٨٢

٤٠ ـ	رأيت فيما يرى النائم	مجموعة قصصية	١٩٨٢
٤١ ـ	الباقى من الزمن ساعة	روايـــة	١٩٨٢
٤٢ ـ	أمام العرش (حوار بين الحكام)	روايـــة	١٩٨٣
٤٣ ـ	رحلة ابن فطومة	روايـــة	١٩٨٣
٤٤ ـ	التنظيـم الســرى	مجموعة قصصية	١٩٨٤
٤٥ ـ	العائش فى الحقيقة	روايـــة	١٩٨٥
٤٦ ـ	يوم قتل الزعيم	روايـــة	١٩٨٥
٤٧ ـ	حديث الصباح والمساء	روايـــة	١٩٨٧
٤٨ ـ	صبـاح الــورد	مجموعة قصصية	١٩٨٧
٤٩ ـ	قشـــتمر	روايـــة	١٩٨٨
٥٠ ـ	الفجر الكاذب	مجموعة قصصية	١٩٨٨
٥١ ـ	أصداء السيرة الذاتية	مجموعة قصصية	١٩٩٥
٥٢ ـ	القــرار الأخيـر	مجموعة قصصية	١٩٩٦
٥٣ ـ	صــدى النسيان	مجموعة قصصية	١٩٩٩
٥٤ ـ	فتــوة العطــوف	مجموعة قصصية	٢٠٠١
٥٥ ـ	أحـلام فترة النقاهة	مجموعة قصصية	٢٠٠٤

رقم الإيداع ٢٤٠٨٤ / ٢٠٠٦
الترقيم الدولى 9 - 1495 - 09 - 977


6 221102 017589